رحلة إلى غزة

٢٠١٢م

تأليف

د. محمد إبراهيم محمد

اسم الكتاب: رحلة إلى غزة

اسم الكاتب: د. محمد إبراهيم محمد

تدقيق وتنسيق: نورهان هاني

تصميم الغلاف: مي مجدي

رقم الإيداع: ٢٠٢٥/٤٨٧٧م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٦٣٣-٨٢٩٧-١١-٤

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

رحلة إلى غزة

٢٠١٢م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

إلى كل مولود لم يولد بعد في غزة.

إلى كل طفل بريء يرضع الآن لبن الحرية من ثدي أمه في غزة.

إلى كل الذين يحملون هم القضية الفلسطينية بين جوانحهم في غزة.

إلى كل المسنين الذين ما زالت ذاكراتهم تحمل صور الظلم، والبغي، والبطش، والعدوان، والمذابح، والتهجير قسراً في غزة.

إلى كل القابضين على الزناد، والقلم، والمعول في غزة.

إلى كل العقول المخططة، والأيدي المنفذة في غزة.

إلى كل الأسرى في سجون العدو الإسرائيلي والمرابطين على التخوم في غزة.

إلى مواكب الشهداء الذين مضوا إلى جنان الخلد وتركوا جذوة الكرامة والعزة دائمة الاشتعال تضيء لمن بعدهم طريق المقاومة والنضال والكفاح في غزة.

إلى ذلك الرمز، دولة رئيس الوزراء إسماعيل عبد السلام أحمد هنية (أبو العبد)، وإلى رفقاء دربه الميامين الأطهار الأبرار.

أهدي هذا الجهد المتواضع

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٩
غزة بين الواقع والخيال	١٥
الحصار من منظور تاريخي	٢٤
الأمن في غزة	٣٥
الرحلة إلى غزة	٤٧
حياة الحصار	٥٦
مظاهر الجمال في غزة	٦٢
التعليم والعدوان والحصار	٧٢
الصحة والعدوان والحصار	٧٧
الاقتصاد والعدوان والحصار	٨٢
المخيمات في غزة	٨٩

المستوطنات في غزة	٩٦
مؤتمر البحث العلمي والدراسات العليا	١٠٤
مسجد الشيخ أحمد يس	١٢٦
مع رمز المقاومة	١٣٥
سماحة إنسان غزة	١٤٢
آمال إنسان غزة	١٤٦
تطلعات وأشواق المسلمين	١٥٥
العودة من غزة	١٦١
نتائج الحرب على غزة	١٦٦
خاتمة	١٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

انبثقت فكرة هذا العمل الأدبي من قناعاتي الشخصية كممثل لجامعة السلام ، وهي إحدى الجامعات السودانية التي شاركت في فعاليات المؤتمر الدولي الأول لعمداء الدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية الذي عقد في الفترة من ٢٠١٢/١/٢٣م وحتى ٢٠١٢/١/٢٦م بغزة- فلسطين- جامعة الأقصى ، بأن ما شاهدته بأم عيني ، وما سمعته بأذني إبان المؤتمر كان فوق تصوراتي وتوقعاتي ، وأنه يستحق مني أن أقوم بعكسه بأمانة وبحيادية تامة لكل الأحرار ، ولكل محبي العدالة في داخل وخارج الوطن العربي ، لعل ذلك يحرك ما سكن من أحاسيسهم ، ومشاعرهم في زمان اختلطت فيه الأمور ، وانتفت فيه موازين العدل والحق ، وأصبح فيه الجبناء ، والدجالون ، والكذابون ، وعديمو الأخلاق هم الذين يقودون بعض الأمم ويشعلون نيران الفتن. نسأل الله أن يجعل في عملنا هذا شحذاً لهمم أهل غزة، وتقويةً لهم على الثبات على مبادئهم، والثبات على نهج المقاومة الذي ارتضوه، بكل ما فيه من تضحيات باهظة ظلوا يقدمونها من دمائهم الطاهرة الزكية التي استمرأ العدو إراقتها في عبثية، وهمجية، ومن قدراتهم المادية التي ظل العدو يهدرها في استعلاء غير عابئ لأحد.

منذ وصولي إلى فندق الخمسة نجوم رويال مارشال - روكسي - مصر الجديدة - القاهرة مكان تجمع المشاركين من خارج مصر في يوم السبت الموافق ٢٠١٢/١/٢٢م لمست حرارة وحفاوة الاستقبال من مندوب اللجنة التي شكلتها جامعة الأقصى لتنظيم المؤتمر، الأمر الذي

خلف شعوراً طيباً في نفسي لأني أعلم علم اليقين بأن روعة المقدمات تقود في أغلب الأحيان إلى جمال النهايات. الفلسطينيون من أهل غزة كانوا وجوهاً نيرة فاضت بنور البشر والترحاب ، وحسن الاستقبال ، كانوا حاتميين في ضيافتهم ، كرماء للدرجة التي جعلتني أعيد النظر في مفاهيمي للقيم الاجتماعية للكرم ، كانوا كرماء لدرجة مبالغ فيها بالرغم عن كل جراحاتهم ، وآلامهم ، وأحزانهم الدفينة التي أعلم أنها غائرةً في قلوبهم ، وبالرغم عن وضعهم الاقتصادي المتردي بفعل الحصار ، وعن جحود ونكران ذوي القربى ، وعن الصمت المخزي للعالم عن كل الجرائم التي يندى لها الجبين التي يرتكبها العدو الإسرائيلي في حق الشعب الفلسطيني صباح مساء بدون مبالاة ، وبلا وازع من خلق أو ضمير. تيحت لي فرصة نادرة قلما يجود الزمان بمثلها لغيري، حيث تشرفت فيها ضمن المؤتمرين من العلماء العرب بمقابلة معالي الدكتور إسماعيل عبد السلام أحمد هنية ، رئيس وزراء السلطة الفلسطينية الشرعية المقالة ، (أبو العبد) كما يحلو لأهل غزة أن يلقبوه ، قابلت هذا الرجل القامة الرمز ، بكل تواضعه ، وبساطته ، وورعه ، وعمق تفكيره ، وتفاؤله ، فجسد لي في صدق عظمة هذا الشعب الفلسطيني ، وعنفوانه ، وحيويته ، هذا الشعب المناضل المكافح المقاوم المرابط القابض بأسنانه على ثوابته ومبادئه ، والماسك بأصابعه على الزناد ، فازددت يقيناً بأن مواصفات هذا الزعيم تؤهله فعلاً لأن يصنع التاريخ الباهر لهذا الشعب المتفرد. تشرفت كذلك - ضمن المؤتمرين - بمقابلة معالي الدكتور محمود خالد الزهار ، وزير خارجية السلطة الفلسطينية الشرعية المقالة ، الذي حدثنا بلغة صريحة ومباشرة من القلب إلى القلب بعيداً عن لغة الدبلوماسية التي عادةً ما تفصح عن القليل وتغض الطرف عن الكثير ، حدثنا عن الهموم

والآمال ، والمستقبل المنظور والبعيد للشعب الفلسطيني المغلوب على أمره في ظل تعنت وظلم وحصار العدو الإسرائيلي الجائر لقطاع غزة ، حدثنا عن بشائر النصر لأن سنة الله الماضية في الأرض أن ينبلج النور مهما طال أمد الظلام ، وأن ينتصر الحق على الجبروت والظلم والطغيان في نهاية المطاف. استمعنا إلى وزراء المالية ، والتعليم ، والزراعة ، وكبار المسئولين في هذه السلطة الفتية ، فسمعنا منهم كلاماً صادقاً بأنهم بصدد تحطيم كل القيود ، والحواجز ، والحدود التي أفرزها الحصار على غزة ، بقفزهم فوق الشح الفعلي والمصطنع للموارد البشرية و الطبيعية ، باستخدامهم لكل الأساليب التكنولوجية المتاحة ، وبالإرادة القوية لشعبهم الذي لا يعرف لغة المستحيل ، ويعلم هذا الشعب يقيناً بأنه في ظل الحصار الماثل المفروض عليه إما أن يستخدم عقله وفكره إلى أقصى الحدود التي سخرها له الله ويشقى ويكابد لكي يحيا ، أو أن يتقاعس ويتواكل ، ومن ثمة يتلاشى رويداً رويدا إلى أن يصل إلى نقطة الزوال من على الكرة الأرضية ، وحينها سيفرح العدو الصهيوني بقرب تحقيقه لأحلامه الشيطانية التي ظلت تراوده منذ أمد بعيد.

دخلت المساجد، والفنادق، والمكاتب، والمحال التجارية، ومشيت في الطرقات، ما رأيت من بين وجوه أهل غزة وجهاً متجهماً عبوساً، وما سمعت صوتاً نشازاً متذمراً أو متضايقاً أو متأففاً أو ساخطا، الغالبية العظمى من الناس كانوا مهذبين مؤدبين، بوادر الرضا، وعلامات التحدي بادية على وجوههم، يمشون وهاماتهم مرفوعة إلى السماء في شموخ، وإباء وشمم، يحمدون، ويسبحون الله في كل الأحوال لأنهم قدريون يؤمنون بأن قدر الله ماض في الناس إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تراءت لي الإرادة القوية لهذا الشعب المعطاء الخلاق الجبار الذي يبلغ تعداده قرابة مليوني نسمة في كيف عرف واستطاع بهدى من الله مدبر الأكوان أن يدبر حياته داخل سجن مساحته ثلاثمائة وستون كيلومتراً مربعاً فقط. تجسدت لي هذه الإرادة الجبارة في شواهد كثيرة ، في العمارات الجديدة الشاهقة متعددة الطوابق التي يجري العمل فيها بهمة ونشاط لكي تحل مكان تلك العمارات المتهدمة التي دمرها العدوان الإسرائيلي الغاشم على غزة لأنه لا يطيق أن يرى فيها شيئاً عالياً مرفوع الرأس إنساناً كان أو جماداً ، وفي كورنيش البحر والمواقع السياحية المتعددة التي يجري إنشاؤها ، وفي الطرق الإسفلتية التي خربتها الحرب وتجري على قدم وساق صيانتها ، وفي المروج الزراعية الخضراء التي تمتد على مد البصر ، وفي غابات النخيل التي لا تخطئها العيون ، وفي كثبان الرمال التي تروى بالماء المالح فتتحول بقدرة قادر إلى أرض معطاءة للخير الوفير بدلاً عن الحقول والبساتين التي جرفتها آليات العدو الإسرائيلي ، وفي المصانع الذي يتصاعد دخانها في عنان السماء متحدياً شح مدخلات الإنتاج وندرة الطاقة المحركة للآلات ، وفي الأسماك التي لا نقول أنها تغرق الأسواق ولكنها موجودة على كل حال بأنواعها وأحجامها المختلفة ، وفي قوارب وسفن الصيد الراسية فوق مياه ميناء غزة للصيد البحري شاهدةً على الحصار البحري الجائر الذي لا يسمح لهذه السفن لأن تشق عباب البحر لأكثر من ثلاثة أميال بحرية مع أن القانون البحري الدولي يسمح لها بالتحرك بحرية في نطاق اثني عشر ميلاً بحريا.

ولم يغب عن بالي أبداً أن كل هذه الانجازات الكبرى تمت في قطاع غزة وعيون المرابطين من أهله من أساتذة الجامعات، والأطباء، والمهندسين، والمحامين، والتجار، والعمال، ساهرةً ومفتوحةً ليل نهار لأن العدو الإسرائيلي الجبان الذي سور الحدود المشتركة بين الأرض

المحتلة وقطاع غزة بالأسلاك الشائكة، وزرعها بحقول الألغام، وحرسها بالدبابات والقناصة طلباً للحماية والأمان، ما زال يرسل المتسللين خفيةً لكي يعيثوا في أرض غزة الطاهرة الفساد (ولكن نقول أين المفر من قدر الله إذا جاء).

كل هذه الابتلاءات لم تمنع السلطة الفلسطينية الوطنية بالقطاع من تسليط أعينها على المشكلات المجتمعية، والإنسانية، والصحية، والبيئية، التي تؤرق مجتمع غزة، خصوصاً مكوناته الأكثر ضعفاً من المهجرين الذين يقطنون المخيمات، ومعوقي الحروب، وأسر المناضلين المأسورين في سجون العدو الإسرائيلي.

أبعد هذه المقدمة ألا تتفق معي أيها القارئ الكريم بأني سوف أكون مقصراً ، وعاقاً إن لم أرد ما علي من دين إلى غزة الحبيبة ، غزة الصمود ، غزة الإباء ، بعدم إصدار هذا المؤلف المتواضع الذي جمعت فيه انطباعاتي وخواطري التي علقت في نفسي ، وعززتها بالمعلومات القيمة التي جمعتها بواسطة الشبكة العالمية (الإنترنت) ، والتي أرجو من مصادرها العذر إن كنت استخدمتها بلا إذن منهم ، وغرضي من ذلك كله أن ألقي الضوء على أحزان ، ومجاهدات ، وانجازات ، وآمال ، وأحلام ، وتطلعات هذا الشعب العظيم ، وحقه في الحياة الحرة الكريمة العادلة التي منحتها له كل الكتب السماوية بما فيها التوراة ، إن كان أهل التوراة الذين يعيشون اليوم يعقلون ويتدبرون ما جاء فيه ، وكذلك منحتها له كل القوانين الأرضية التي توافق عليها البشر على مر العصور ، إن كان أهل مجلس الأمن في القرن الواحد والعشرين ، وعلى رأسهم أمريكا يتدبرون ويعقلون روح ما جاء في نصوص هذه القوانين.

وشكري الجزيل إلى كل من ساهم معي وشجعني في أن يرى هذا العمل النور، وأخص بالشكر الدكتور محمد عبد الله السرير الذي قام بالمراجعة اللغوية للمسودة.

وأسأل الله العلي القدير أن يحفظ، وينصر الشعب الفلسطيني على أعدائه وأن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم.

المؤلف

(٢)

غزة بين الواقع والخيال

واهم من ظن أنه يوجد على وجه هذه البسيطة مثقف مسلم، أو غير مسلم، عربي، أو غير عربي لم يسمع بمشكلة فلسطين أو لا يعرف عنها شيئاً، فهي المشكلة المحورية المعقدة التي أقلقت العالم، وما زالت تهدد السلم والأمن الدوليين. قبل أن أشد الرحال إلى غزة كانت صورتها في عقلي مستوحاة من تاريخ المشكلة الفلسطينية، كانت صورة قاتمة تكتنفها ظلال النكسة والتشتت، وعدم العدالة الدولية، والظلم، والطغيان، والحصار، والحرب، والعدوان، والانقسام بين الفلسطينيين أنفسهم.

كنت أعلم أنه في العصر الحديث بدأت أطماع اليهود الغربيين في الأراضي الفلسطينية تطل بوجهها القبيح منذ العام ١٥٣٠م، عندما حاول اليهودي الإيطالي يوسف ناسي الذي كان يعتبر حينها أثرى رجل في العالم بناء مستعمرة لليهود في فلسطين يفرون إليها من الاضطهاد الذي يواجهون في الغرب. ثم بدأ اليهود الغربيون في ثمانينات القرن التاسع عشر تبني سياسة استعمارية جديدة لاحتلال الأراضي الفلسطينية تقوم على فكرة استبدال السيطرة المدنية أو السلمية بالسيطرة المسلحة. في عام ١٩١٦م تم تطبيق معاهدة سايس - بيكو التي تمت بين فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية لاقتسام مناطق الإمبراطورية العثمانية، وبموجبها خضعت الأردن وفلسطين للانتداب البريطاني، وفي نفس العام أرسل جيمس بلفور وزير الخارجية البريطاني رسالة إلى الصهيوني اللورد ليونيب وولتر دي روتشيلد يتعهد له فيها بتأييد بريطانيا لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، مع

ملاحظة ألا يؤدي ذلك إلى المساس بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود في فلسطين وهو ما عرف تاريخياً (بوعد بلفور). في عام ١٩١٧م سيطر الجيش البريطاني على فلسطين وشرق الأردن بمساعدة الثورة العربية بقيادة الشريف حسين التي كانت تسعى إلى استقلال ووحدة البلاد العربية. بدأت الهجرة اليهودية نحو فلسطين منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وصارت تتزايد مع مرور الأيام مما دفع الشعب الفلسطيني إلى الثورة ضد المستعمرين الإنجليز والمهاجرين اليهود، وكانت أضخم هذه الثورات الشعبية ثورة عام ١٩٢١/٢٠م، وثورة البراق عام ١٩٢٩م، وثورة الأعوام ١٩٣٩/٣٦م التي نشبت إثر وفاة الشيخ عز الدين القسام على أيدي الشرطة البريطانية في جنين.

ظهرت فكرة تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية مع تحديد منطقة دولية حول القدس لأول مرة في تقرير لجنة بيل ١٩٣٧م، وتقرير لجنة وودهد ١٩٣٨م. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥م وقيام هيئة الأمم المتحدة بدلاً عن عصبة الأمم طالبت هيئة الأمم المتحدة بإعادة النظر في صكوك الانتداب التي منحتها عصبة الأمم للإمبراطوريات الأوربية ، واعتبرت وقتها حالة الانتداب البريطاني على فلسطين من أكثر القضايا الدولية تعقيداً وأهمية. نتيجة لتصاعد حدة هجمات الجماعات اليهودية على القوات البريطانية أحالت بريطانيا المشكلة إلى الأمم المتحدة في ١٩٤٥/٥/١٥م التي بدورها ألفت من خلال جمعيتها العامة لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين. نشرت هذه اللجنة تقريرها في ١٩٤٥/٩/٨م الذي أيد فيه معظم أعضائها مقترح التقسيم. رفضت الهيئة العربية العليا في ذلك الوقت هذا المقترح، بينما قبلته الوكالة اليهودية. في الفترة التي أعقبت ذلك تصاعدت وتيرة العمليات العسكرية من كل الأطراف، ونتيجة لذلك

نجحت القوات الصهيونية في احتلال مساحات تفوق ما حصلت عليه في قرار التقسيم، وأدى ذلك إلى خروج أعداد كبيرة من الفلسطينيين من مدنهم وقراهم بسبب المعارك والمذابح التي تعرضوا لها من قبل اليهود. أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩م مشروعاً يدعو إلى إقامة دولة يهودية في أرض فلسطين. انسحبت بريطانيا من فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٤م، وأعلن ديفيد بن غوريون في اليوم نفسه قيام دولة الاحتلال الإسرائيلي وعودة الشعب اليهودي إلى ما أسماه أرضه التاريخية. بحلول ١٩٤٩/١/٧م انتهى القتال ودخلت كل من دولة الاحتلال الإسرائيلي الوليدة والأردن وسوريا ولبنان في مفاوضات الهدنة التي أفضت إلى اتفاقية رودس، ومع نهاية الحرب كانت دولة الاحتلال الإسرائيلي قد أصبحت واقعاً واحتلت من فلسطين كامل السهل الساحلي باستثناء قطاع غزة الذي سيطر عليه المصريون، كما قامت على كامل النقب والجليل وشمال فلسطين، وأصبحت مناطق القدس الشرقية والضفة الغربية جزءً من المملكة الأردنية الهاشمية.

في ليلة ١٩٥٦/١٠/٢٩م بدأت قوات الاحتلال ألإسرائيلي بضرب سيناء، وفي ١٩٥٦/١١/٥م دخلت القوات البريطانية بورسعيد وتعرضت بور فؤاد لهجوم من قبل القوات الفرنسية (العدوان الثلاثي)، وظلت قوات الاحتلال الإسرائيلي تحتل غزة لفترة ستة أشهر حتى مارس ١٩٥٧م.

في عام ١٩٦٧م قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي باحتلال الضفة الغربية من نهر الأردن التي كانت جزءً من الأردن، كما احتلت قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان السورية بالإضافة إلى مناطق أردنية أخرى في الشمال، وعرفت هذه الحرب باسم حرب الأيام الستة أو باسم النكسة، وصدر عن مجلس الأمن القرار رقم ٢٤٢

في نوفمبر ١٩٦٧م الذي يدعو فيه العدو الإسرائيلي إلى الانسحاب من الأراضي التي احتلها في يونيو ١٩٦٧م، كما يدعو الدول العربية إلى الاعتراف بالكيان الصهيوني. في يوليو ١٩٦٨م قامت الحكومة الأردنية باتخاذ سلسلة من الإجراءات التي اعتبرت إعادة لتعريف الوضع القانوني للضفة الغربية بالنسبة للأردن ، ولذلك لم تعد الضفة الغربية جزءً من الأردن تحت الاحتلال.

في أكتوبر ١٩٧٣م نشبت الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة التي شنتها كل من مصر وسوريا بدعم عربي مباشر، عسكري، وسياسي، واقتصادي على العدو الإسرائيلي. انتهت الحرب رسمياً بالتوقيع على اتفاقية فك الارتباط في ١٩٧٤/٥/٣١م، حيث وافق العدو الإسرائيلي على إعادة مدينة القنيطرة إلى سوريا، وضفة قناة السويس الشرقية إلى مصر مقابل إبعاد القوات المصرية والسورية من خط الهدنة، وتأسيس قوة خاصة للأمم المتحدة لمراقبة تنفيذ الاتفاقية. مهدت هذه الحرب الطريق إلى اتفاقية كامب ديفيد بين مصر والعدو الإسرائيلي التي عقدت في سبتمبر ١٩٧٨م، وأدت كذلك إلى عودة الملاحة إلى قناة السويس.

على أثر الانتفاضة الأولى التي قام بها الفلسطينيون في ١٩٨٧م (أطفال الحجارة) نشأت ضغوط دولية على العدو الإسرائيلي، فبدأت محاولات حل المشكلة عن طريق مفاوضات ترعاها أطراف دولية، منها مفاوضات مدريد التي ضمت كل من سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعدو الإسرائيلي، تبعتها مفاوضات أوسلو، وواشنطن، التي أفرزت اتفاقية أوسلو، وقد تنازلت حركة فتح التي تمثل منظمة التحرير الفلسطينية بموجب هذا الاتفاق عن ٧٨% من مساحة فلسطين المحتلة.

جغرافياً قطاع غزة هو المنطقة الجنوبية من الساحل الفلسطيني على البحر الأبيض المتوسط، وهو على شكل شريط ضيق يقع شمال شرق شبه جزيرة سيناء ويشكل تقريباً ٣٣,١% من مساحة فلسطين التاريخية. يمتد القطاع على مساحة ٣٦٠ كم مربع، بطول ٤١ كم وعرض يتراوح بين ٥ و١٥ كم. يحده العدو الإسرائيلي من جهتي الشمال والشرق بينما تحده مصر من الجنوب الغربي.

يوجد في قطاع غزة عدد من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، وهي مخيم جباليا (شمال القطاع) ، مخيم الشاطئ (غربي مدينة غزة) ، مخيم البريج (وسط القطاع) ، مخيم النصيرات (وسط القطاع) ، مخيم الشابورة (جنوبي القطاع) ، مخيم دير البلح (وسط القطاع) ، مخيم خان يونس (جنوبي القطاع) ومخيم المغازي (وسط القطاع). تحيط بقطاع غزة سبعة معابر ، لا يدخله ولا يخرج منه شيء دون المرور بأحدها ، تخضع ست منها لسيطرة العدو الإسرائيلي ولكل منها اسمان أحدهما عربي والآخر عبري وهي المنطار (كارني) ، كرم أبو سالم (كيرم شالوم) ، بيت حانون (إيريز) ، العودة (صوفا) ، الشجاعية

(نحال عوز) و القرارة (كيسوفيم). المعبر الوحيد الخارج عن سلطة الاحتلال هو معبر رفح ، إنه المعبر البري الوحيد الذي يسمح للفلسطينيين بالخروج من القطاع إلى مصر ومنها إلى جميع دول العالم. إنه يقع على الحدود المصرية مع قطاع غزة ، وكان تحت إدارة العدو الإسرائيلي قبل انسحابه بالكامل من القطاع ، وتسلمت إدارته من بعد السلطة الوطنية الفلسطينية ، واشترط العدو الإسرائيلي وجود مراقبين أوروبيين دائمين به.

شن العدو الإسرائيلي حرباً شاملةً على قطاع غزة امتدت من تاريخ ٢٠٠٨/١٢/٢٧م وحتى ٢٠٠٩/١/١٨م ، وأتت هذه الحرب بعد انتهاء تهدئة دامت ستة أشهر كان قد تم التوصل إليها بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من جهة والعدو الإسرائيلي من جهة أخرى. وتم خرق هذه التهدئة من جانب العدو الإسرائيلي بعدم التزامه باستحقاقاته من التهدئة ، من حيث رفع الحصار الذي يفرضه على قطاع غزة ، وبالتالي أدى ذلك إلى عدم قبول حماس بتجديد التهدئة. استهدف الهجوم الجوي للعدو الإسرائيلي على قطاع غزة المقار الأمنية ، والمواقع المدنية ، والمدنيين ، واستهدف الاجتياح الأرضي المساكن ، والحقول، والوحدات الإنتاجية ، واستخدم العدو في ذلك الأسلحة المحرمة دولياً. نفذت خلال هذا الهجوم عدة مجازر بحق المواطنين الفلسطينيين في قطاع غزة ، وقد أدانت هذه المجازر الدول ، والهيئات ، والمنظمات العالمية ومن أشهر هذه المجازر:

- مجزرة السبت الأسود.
- مجزرة مسجد إبراهيم المقادمة.
- مجزرة عائلة السموني.

- مجزرة مدرسة الفاخورة التابعة للأونروا.

- مجزرة قصف منزل نزار ريان.

- مجزرة قصف منزل عز الدين أبو العيش.

قدرت الإحصاءات عدد الشهداء ١٤٦٤ شهيداً والجرحى ٥٣٣٠ جريحاً. تجاوزت الخسائر المادية وفقاً للتقديرات المبدئية ٣ مليارات من الدولارات حيث شملت الآتي:

- أكثر من ٢٠ ألف منزل.

- ٦٠ مدرسة.

- ٣٠ مركزاً للشرطة.

- ٢٠ مسجداً.

- ١٥ مقراً وزارياً.

- ٦٨ مؤسسة حكومية.

- ٣١ مقراً لمنظمات غير حكومية.

- ٥٣ مؤسسة تابعة للأمم المتحدة بينها ٣٧ مدرسة.

- ٦٠ مؤسسة صحية.

- ١٥ مشفى صحي.

-٢٩ سيارة إسعاف.

- فقد ٤٠ ألف مواطن وظائفهم في القطاع الزراعي.

- فقد ٩٠ ألف وظائفهم في القطاعات الأخرى.

- تدمير معظم شبكات المياه والكهرباء والاتصالات.

-تدمير أكثر من ١٥٠٠ محل تجاري.

بعد أن انتهى الصراع على السلطة بين فتح وحماس بحسم الأخيرة للموقف لصالحها تسلمت القوات الأمنية التابعة لحماس إدارة معبر رفح ، ثم ظهرت مشكلات بين حماس ومصر لرفض مصر للدور المتنامي لحماس في غزة ، وكذلك لرفضها لوجود الأنفاق التي تهدد الأمن القومي المصري لزعمها أنها تستخدم في إدخال الأسلحة والمخدرات من وإلى مصر مما تسبب في وقوع عدة هجمات على منشآت سياحية في سيناء ، ولذلك تم إغلاق المعبر بشكل جزئي يفتح في الأسبوع ليومين فقط. بعد هجوم جيش الاحتلال الإسرائيلي على واحدة من سفن كسر الحصار على غزة التي كانت تنظمها مؤسسات أوروبية خاصة ، وقتلهم في ذلك الهجوم لتسعة أتراك من بين الركاب أمر الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك بفتح المعبر بشكل دائم. بعد قيام الثورة المصرية تم فتح المعبر بشكل كامل دون أية قيود وأصبحت حركة المسافرين سهلة وسلسة وألغي نظام الترحيل التعسفي للمسافرين الفلسطينيين مما أثار حفيظة حكومة العدو الإسرائيلي فبعثت بمدير مخابراتها عاموس جلعاد ليلتقي مدير المخابرات المصرية ، وبعد لقائهما تم إغلاق المعبر لمدة أربعة أيام ، وسد بأعمدة خشبية عملاقة ، وتم نشر عشرات الجنود المصريين لمنع المسافرين المكتظين من اقتحام بوابة المعبر بحجة أعمال الصيانة ، وبعدها تم فتح المعبر ولكن بشكل جزئي حيث لا يسمح الجانب المصري بمرور أكثر من ٢٥٠ شخصاً يومياً ، بالإضافة إلى قائمة كبيرة من الممنوعين من سكان القطاع من دخول الأراضي المصرية أو المرور عبرها بحجج واهية أو لدواعي أمنية.

نتيجةً للحصار الخانق الذي يفرضه العدو الإسرائيلي على قطاع غزة هدى الله أهل غزة إلى ابتكار طريقة حفر الأنفاق تحت الأرض ، تمتد هذه الأنفاق من مدينة رفح جنوب القطاع لتقطع الحدود المصرية

وتخرج في مدينة رفح المصرية المجاورة ، ويتم من خلالها جلب البضائع والأغذية والوقود ، إضافة لبعض مواد البناء ولكن بأسعار خيالية مرتفعة. بسبب الحصار المضروب على قطاع غزة ، وعدم سماح العدو الإسرائيلي بدخول كميات كافية من الوقود نشأت أزمة فعلية متمثلة في انقطاع التيار الكهربائي ، وصلت إلى ذروتها بانقطاع التيار الكهربائي لفترات وصلت إلى ١٦ ساعة يومياً أو أكثر ، بل ووصلت أحياناً إلى مرحلة التوقف التام للمحطة الوحيدة للكهرباء بالقطاع ، مما دفع المواطنين للاعتماد على المولدات الكهربائية. وقد تسبب استخدام المولدات الكهربائية الصغيرة في كثير من الحوادث التي راح ضحيتها عدد من سكان القطاع ،إضافة إلى الأضرار المادية التي لحقت بهم ، وذلك لخطورة التعامل مع الوقود السريع الاشتعال أو بسبب مشاكل تلوث البيئة نتيجة لكثافة غاز ثاني أكسيد الكربون المنبعث من عوادم المولدات. كذلك أثر انقطاع الكهرباء على بعض نواحي الحياة في غزة مثل توقف الاتصالات بالعالم الخارجي ، وسرعة تلف المواد الغذائية خصوصاً لأصحاب المحال التجارية.

نعم أيها القارئ الكريم ، قرر لفيف من العلماء العرب الذهاب إلى جامعة الأقصى في قطاع غزة ليشاركوا في مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي ، تدفعهم وتحثهم إلى ذلك مآرب أخرى ، منها أن يشاركوا في كسر الحصار البري ، والبحري ، والعلمي المفروض ظلماً وعدواناً على إخوتهم في غزة ، وأن يسعوا في توجيه أنشطة البحث العلمي بالوطن العربي إلى ردم الفجوة التكنولوجية بينه وبين هذا العدو الإسرائيلي المتغطرس ، وأن ينظروا بعين المدقق الفاحص لما يجري في داخل غزة ، وأن ينقلوا للعالم عزة ، وشموخ ، وكبرياء أهل غزة ، وأن يقولوا لأهل غزة لستم وحدكم في معركة العزة والكرامة ، بل كل أحرار وشرفاء العالم يقفون معكم في خندق واحد ، وبقلب واحد ، وبعزيمة قوية لا تلين ، إلى أن يتحقق لكم النصر الأكيد ، غصباً عن أنف كل متكبر جبار ، وعن أنف كل من يقف معه من العنصريين الجدد.

(٣)

الحصار من منظور تاريخي

معلوم إن علم التاريخ هو أحد العلوم الاجتماعية التي تعنى بدراسة الماضي البشري ، حيث يقوم المؤرخون بدراسة الوثائق عن الأحداث الماضية ، وإعداد وثائق جديدة تستند على أبحاثهم ، وتسمى هذه الوثائق أيضاً تاريخا. ترك القدماء العديد من الآثار بما في ذلك التقاليد ، والقصص الشعبية ، والأعمال الفنية ، والمخلفات الأثرية ، والكتب ، والمدونات الأخرى. يستخدم المؤرخون كل تلك المصادر ولكنهم يدرسون الماضي بشكل رئيس في ضوء ما هو مدون في الوثائق المكتوبة ، لذا فإن التاريخ أصبح مقصوراً بصفة عامة على الأحداث الإنسانية منذ تطور الكتابة قبل نحو خمسة آلاف سنة مضت. يدرس المؤرخون كافة مظاهر الحياة الإنسانية الماضية والأحوال الاجتماعية والثقافية ، تماماً مثل الحوادث الاقتصادية والسياسية. ويدرس بعض المؤرخين الماضي وصولاً لفهم آلية تفكير وعمل الناس في الأزمنة المختلفة على نحو أفضل ، بينما يبحث الآخرون عن العبر المستفادة من تلك الأعمال والأفكار لتكون موجهاً للقرارات والسياسات المعاصرة. وسوف نتناول بالسرد هنا أشهر حوادث الحصار عبر التاريخ لعلنا نسقطها على الحصار الصهيوني الواقع على قطاع غزة ، ونستخلص منها العبر والدروس. أقدم وأشهر حصار عرف في التاريخ هو حصار طروادة ، وهي مدينة بحرية غنية تقع في آسيا الصغرى ، تحكي الأسطورة أن بوسيدون إله البحر بناها برفقة أبولو إله الشعر والفنون فكانت مدينة منيعة وقوية. حاصرها الإغريق ودام حصارهم لها ولأهلها مدة عشر سنوات. تعد حرب طروادة واحدةً من أشهر

الحروب في التاريخ، وذلك لخلودها في ملحمتي هوميروس الإلياذة والأوديسة اللتان تحدثتا عن بعض أحداث طروادة. في الإلياذة رويت أحداث السنة التاسعة من الحرب وهي سنة غضب أخيل ، وفي الأوديسة حكيت الكثير من الأحداث السابقة للحرب إبان رواية حكاية عودة أوديسيوس ملك إيتاكا وأحد القادة في حرب طروادة. يتفق الفرس القدامى والفينيقيون مع اليونان القدماء في قولهم أن تلك الحرب استعرت نارها لأن واحدة من النساء الحسان هي هيلين ملكة إسبرطة قد اختطفها باريس الطروادي ، ويتساءل المؤرخ هيرودوت هل من الناس من يصدق أن الطرواديين يحاربون عشر سنوات من أجل امرأة واحدة ؟. جهز الإغريق عدداً كبيراً من السفن وملئوها بالمقاتلين الأشداء من جميع أرجاء ممالك اليونان واستمرت الحرب و الحصار عشر سنوات كاملة وفي السنة الأخيرة دمرت المدينة بالكامل. حصان طروادة جزء من أساطير الحرب ، إلا أنه لا يظهر في الجزء الذي يرويه هوميروس عن الحرب في الإلياذة ، وتروي الأسطورة أن حصار الإغريق لطروادة دام عشر سنوات لم يستطيعوا خلالها دخول المدينة فابتدع الإغريق حيلةً حربيةً جديدة كانت حصاناً خشبياً ضخماً وأجوفاً بناه ابيوس وملئ بالمحاربين الإغريق بقيادة أوديسيوس ، أما بقية الجيش فتظاهر كأنه رحل ، بينما في الواقع كان يختبئ وراء تيندوس ، وقبل الطروايون الحصان وأدخلوه مدينتهم على أنه عرض للسلام بعد أن أقنعهم جاسوس إغريقي بأن الحصان هدية لهم من الإغريق. احتفل الطروايون برفع الحصار ، وابتهجوا ، وكانوا في حالة سكر عندما خرج المقاتلون الإغريق من جوف الحصان الذي كان في داخل المدينة وفتحوا بواباتها للسماح لباقي الجيش بدخولها ، فنهبوا المدينة بلا رحمة ، وقتلوا كل الرجال وأخذوا كل النساء كعبيد ثم أحرقوها.

اعتقد قدماء اليونان بصحة الأحداث المروية عن حرب طروادة ، وقد تم تقدير وقت حدوثها بأنه القرن الثاني عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد ، إلا أن العلماء في الوقت الحالي يشككون بصحة هذه الأسطورة رغم أنه في العام ١٨٧٠م قام المنقب والمستكشف الألماني هنريك شيلمان باكتشاف آثار مدينة في الموقع الذي كان يعتقد بوجود طروادة فيه ، إلا أنه لم يتم تأكيد أو نفي صحة الأسطورة ووجود الحرب.

الحصار الثاني هو حصار بختنصر ملك بابل الذي حكم من حوالي سنة ٦٠٥ إلى ٦٦١ ق.م لمدينة أورشليم. وتأتي المعلومات عن هذا الحصار من الكتابات المسمارية ، ومن المصادر اليهودية المتأخرة ، ومن الكتاب الكلاسيكيين. عندما كان بختنصر ولياً للعهد شارك والده في قيادة الجيش في الجبال الواقعة شمال بلاد آشور، وبعد هزيمة البابليين على أيدي المصريين تولى قيادة الجيش بدلاً من والده، وتمكن بقيادته الفذة من تحطيم الجيش المصري في كركمبش وحماة مما أدى إلى إحكام سيطرته على سوريا كلها، وبعد وفاة والده عاد إلى مدينة بابل وارتقى العرش. في حملاته على سوريا وفلسطين قدمت الدويلات المحلية من بينها مملكة يهوذا خضوعها له كما أنه احتل مدينة غسقلان ، وخلال السنوات الثلاث التالية شن المزيد من الحملات لتوسيع السيطرة البابلية على فلسطين ، وفي آخر تلك الحملات اصطدم بجيش مصري وكانت خسائره كبيرة ، وأدت هذه الهزيمة إلى ارتداد بعض الدويلات عن التبعية له من ضمنها مملكة يهوذا. بقي بختنصر في بلاد بابل لتعويض خسائره من العربات ثم استأنف عملياته لإعادة السيطرة، وقد تجلت مقدرته على التخطيط الاستراتيجي بهجومه على القبائل العربية شمال غرب الجزيرة العربية تمهيداً لاحتلال مملكة يهوذا، ثم

هاجم مملكة يهوذا بعد سنة واحتل القدس. ثمة المزيد من النشاطات العسكرية التي قام بها بختنصر لم تذكرها الحوليات التاريخية بل ذكرتها مصادر أخرى ، تذكر هذه المصادر هجوما آخر على القدس وحصاراً للمدينة استمر ١٣ سنة ، وانتهى هذا الاحتلال بسبي مواطني أورشليم البارزين ، وتلا هذا السبي سبي آخر.

الحصار الثالث هو حصار بني قينقاع ، عند مقدم النبي ﷺ إلى المدينة ، وكان من المنتظر أن يكون اليهود هم أول من يعلن الانضمام لقافلة الإسلام وتأييد دعوة التوحيد التي جاء بها ، وأن يكونوا يداً للمسلمين ضد الوثنية وأتباعها لأنهم أتباع رسالةٍ سماوية وقد قامت لديهم البراهين والحجج ، وجاءتهم البشرى بمقدم هذا النبي. ولكن حصل العكس تماماً ، فكانوا أول من بادر إلى مقاطعة هذا الدين الجديد وإعلان الانحياز إلى قريشٍ بعواطفهم وألسنتهم ودعاياتهم. ومنشأ هذا الموقف هو الحسد الذي تولّد في قلوبهم تجاه الرسول الكريم حيث اصطفاه الله تعالى من أمّةٍ غير أمّتهم ، ومن مجتمعٍ مغايرٍ لهم ، وكان ظنّهم أن يكون مبعوثاً فيهم ، إضافة إلى حنقهم وغيظهم على الانتشار السريع لدعوته. لذلك عاش اليهود في عزلةٍ تامة عن أهل المدينة ، ورفضوا الاندماج في المجتمع الإسلامي الجديد ، ولم يقفوا عند هذا الحد بل أطلقوا سيل المؤامرات والدسائس كمحاولةٍ منهم للقضاء على الدولة المسلمة. وكانت أوّل الجماعات اليهوديّة إعلاناً لهذه العداوة بنو قينقاع الذين كانوا يسكنون أطراف المدينة ، ولم يتوقّفوا لحظة عن إحداث الشقاق وإثارة المشكلات بين صفوف المسلمين ، وكانوا مصدر إيحاء وتوجيه للمنافقين ، وتأييد وتشجيع للمشركين.

حاول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه إرجاعهم إلى جادة الحق فجمعهم في سوقهم ونصحهم وخوّفهم عاقبة كتمان الحق وذكّرهم بمصير قريش في بدر ، فردّوا عليه بكل سفهٍ وحمق : " يا محمد ، لا يغرّنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغمارا ، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا " فأنزل الله عز وجل في ذلك قوله : (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) (آل عمران : ١٢ – ١٣) رواه أبو داود.

وجاء الموقف الذي يؤكّد الضغينة والحقد الذي يحمله اليهود باستطالتهم على أعراض المسلمين ، فقد ذكر ابن كثير وابن هشام أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ في سوق بني قينقاع فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا عليها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشدت اليهود على المسلم فقتلوه.

أمام هذه التجاوزات الخطيرة لم يكن هناك مفرٌّ من حملة تأديبية تمنع من مثل هذه الممارسات مستقبلاً ، فألغى النبي الكريم العهد الذي بينه وبين يهود بني قينقاع ، ثم أمر المسلمين بالاستعداد لمواجهة اليهود. وانطلق الجيش في منتصف شهر شوّال من السنة الثانية للهجرة متوجّهاً إلى حصون بني قينقاع ، وعند الوصول ضرب عليهم النبي الكريم حصاراً محكماً قطع عنهم كل الإمدادات ، واستمرّ ذلك الحصار خمسة عشر يوماً حتى أعلن اليهود استسلامهم ونزولهم على حكم النبي الكريم. وهنا لعبت العلاقات اليهودية مع المنافقين دورها

فقام زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بمحاولة تخليصهم من خلال شفاعته عند النبي الكريم ولم يكن قد أسلم إلا منذ أيام قليلة ، بأن ذهب إلى النبي وقال :" يا محمد ، أحسن في مواليَّ - وكانوا حلفاء الخزرج قبل الهجرة – " ، فأبطأ عليه الرسول الكريم ، فقال : " يا محمد ، أحسن في موالي ، فأعرض عنه ، فأدخل يده في ثوب رسول الله وجذبه بقوّة فغضب عليه الصلاة والسلام حتى احمرّ وجهه وقال : (أرسلني) ، فقال له : " لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، وتحصدهم في غداة واحدة ؟ إني امرؤ أخشى الدوائر " فقال له الرسول الكريم: (هم لك) ، رواه ابن إسحاق. وفي المقابل يبرز الموقف الإيماني للصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه والذي كان حليفاً آخراً ليهود بني قينقاع ، فقد أعلن براءته من حلفائه بكل وضوح قائلاً : " يا رسول الله ، أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وأتولّى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم " رواه ابن إسحاق ، وقد سجّل القرآن الكريم المفارقة بين الموقفين بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) (المائدة : ٥١ – ٥٢) .

صدر الحكم بإخراج يهود بني قينقاع من المدينة ، وغنم المسلمون ما لديهم من الأموال ، وتوجّه القوم إلى منطقة يقال لها " أذرعات الشام ". وهذا الحكم الذي صدر من النبي كان لأجل ما بدر منهم من صدٍّ عن هذا الدين ورفضٍ له ، فالوثيقة التي عقدها النبي الكريم مع سكّان المدينة كانت تكفل لهم حرية البقاء والعيش فيها ، ولكن

محاولاتهم المتكرّرة للإخلال بالأمن وإشعال الاضطرابات والفتن في المجتمع المدني كان السبب الرئيسي في إجلائهم حتى يعود كيدهم في نحورهم ويزول الخطر من وجودهم.

الحصار الرابع ، حصار تلمسان وهي مدينة تقع في شمال غرب الجزائر، بدأ حصار تلمسان في أبريل من العام ١٢٩٩م وانتهى في ١٣٠٧م لم تشهد أي مدينة في العالم عزلة كالتي شهدتها تلمسان حيث بنى السلطان المريني يعقوب بن يوسف حزام حجري حول المدينة بفتحات حتى يتمكن مهاجميه من الولوج والخروج من حول تلمسان ليبدأ بعدها ببناء مدينة جديدة على الغرب من تلمسان اسماها المنصورة لتكون مركزاً لقواعده. يؤكد بن خلدون من الشهادات الحية التي سمعها في رحلته أنه طوال هذه السنوات الثمان من الحصار لم يمر يوم واحد دون أن يأمر السلطان المريني قادته بالهجوم على تلمسان ، كما كانت سماء تلمسان لا تكاد ينقشع عنها الغبار المنبعث من ارتطام القذائف بالمباني لشدة القصف المتواصل. ولم يشهد قط سكان المعمورة في تلك الفترة معاناة طويلة مثلما شهدها التلمسانيون، ولم تعرف مدينة مقاومة عتيدة وشجاعة باسلة مع التصميم في المقاومة كما فعل أهل تلمسان. في السنة الخامسة للحصار مات عثمان بن يغمراسن سلطان تلمسان ، وأعطى هذا الحدث بعداً جديداً لمأساة المدينة لما كان يمثله عثمان من رمزية التصميم على مواجهة ومقاومة العدو، وظن الناس أنه ربما انتحر ليتجنب رؤية المشهد المروع الذي يخبؤه المرينيون لمدينته ولشعبه وبالأخص أسرته. اجتمع شيوخ تلمسان بشكل طارئ وعينوا بن زيان الابن الأكبر لعثمان كوريث شرعي للعرش. كانت معاناة المدينة كبيرة للنقص في المؤن وقلة الموارد ، ويصف بن خلدون بشاعة الموقف آنذاك ويعطي بعض التفاصيل عن أسعار المواد الغذائية ، والتي شملت الحيوانات الأليفة ، والعصافير البرية ، والقوارض

،والحيوانات المريضة ، وبقيام الناس بخلع أسطح بيوتهم للحصول على التدفئة. وبينما كان الموت يخيم على تلمسان ، فإن مدينة المنصورة التي بناها السلطان المريني وصلت لذروة مجدها. بعد أن تأكد التلمسانيون من اقتراب النهاية الأليمة قرروا القيام بالمعركة الأخيرة والموت تحت ظلال سيوفهم ، وأمّ السلطان زياد بن يغمر شخصياً الصلاة لأجل الاستشهاد ، كما دعا حارس مخازن القمح لتقييم المخزون الغذائي ولم يجد فيها ما يكفي لأكثر من مدة يومين فقط. بعد أن أبلغ سلطان تلمسان أخاه الأمير أبو حمو بهذه الأخبار ، عرض الأخير على أخيه اتخاذ قراراً يقضي بمرور رقاب النساء على يد السياف ، وأن يموت الرجال وهم يحملون أسلحتهم في المواجهة النهائية مع العدو. احترم السلطان رأي أخيه وأرجأ تنفيذه ثلاثة أيام. في نفس اليوم جاء رسول من معسكر المرينيين يحمل رسالة ، وكان الخبر الذي أدلى به الرسول أن يوسف بن يعقوب سلطان المرينيين مات للتو مقتولاً ، وأنه يحمل رسالةً من حفيده أبو ثابت. واعتبرت الوفاة المفاجئة للسلطان المريني معجزة إلهية أنقذت تلمسان من أن تصير مدينة للأشباح، وكان الثمن الذي دفعته تلمسان أكثر من ١٢٠,٠٠٠ قتيل.

رأيت من خلال هذه النماذج التاريخية كيف يتصرف البشر حينما يتكبرون ، ويتجبرون ، وتعميهم القوة المحضة عن رؤية الحق والصواب ، وكيف تكون نتائج أعمالهم كارثية ومدمرة حينما يغلب عليهم طابع الخبث والشر فينسون آدميتهم وينحشرون في بهيميتهم وغريزيتهم الضيقة ، كما ورأيت من نموذج يهود بني قينقاع كيف تسمو النفس البشرية ، وكيف تكون النتائج إنسانية مفعمة بالرحمة والعدل عندما تنسجم وتهتدي بالعدالة الإلهية.

الحصار الأخير هو حصار غزة ، وهو يختلف عن كل نماذج الحصار السابقة التي أوردناها آنفاً في أسبابه ودواعيه وعدد ضحاياه الذين يتجاوزون المليون ونصف إنسان في حين أن ضحايا أي حصار سابق لم يتعد مئات الآلاف في أسوأ الحالات. ويأتي هذا الحصار في سياق المحاولات المتكررة لبني صهيون لاغتصاب المزيد من الأراضي الفلسطينية ، وتشريد المزيد من أهلها ، وغالبية الأسطر الواردة في هذا المؤلف تدور حول هذا الحصار ، وآثاره ، ونتائجه ، وفي الأسطر القليلة التالية نورد مقتطفات من حديث مؤرخ إسرائيلي بارز هو شلومو زانت أستاذ الدراسات التاريخية بجامعة تل أبيب في مقابلة أجرتها معه صحيفة فانكفورتر روند شاو الألمانية ، وحين يشهد شاهد من أهلها فذلك يكفي عن البحث ، والاستدلال ، والتنقيب ، والتمحيص. وصف هذا المؤرخ إسرائيل بالطفل اللقيط ، ومطالباً الإسرائيليين بالاعتراف بأن تأسيس دولتهم بني على اغتصاب الحقوق العربية ، وتسبب في نكبة الشعب الفلسطيني وتشريده ، اعتبر إصرار إسرائيل على مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بها كدولة يهودية يمثل تطوراً خطيراً في بلد ربع سكانه من غير اليهود ، وهذا التطور الخطير يقود إلى سلطة عرقية ، وكل عربي في اسرائيل هو فلسطيني وإسرائيلي في نفس الوقت ، بالإضافة إلى أنه لا يوجد شعب يهودي لأن اليهودية دين وليست أمة. أقر هذا المؤرخ اليهودي بأن المؤرخين الصهاينة حولوا الإنجيل من كتاب ديني وأدبي يعد تحفة فنية إلى كتاب للقصص للترويج لأسطورة الشعب اليهودي ، كما أن ما أشاعوه عن تهجير اليهود من فلسطين وتشتيتهم في القرن الأول الميلادي لا يعدو أيضا كونه خرافة ، ووجود اليهود بعد ذلك في أماكن مختلفة في

العالم جاء نتيجة اعتناق سكان هذه الأماكن لليهودية وليس بسبب تهجير اليهود إلى هناك. وأشار إلى أن إسرائيل تستمد شرعيتها من التاريخ ، لأن اليهود في عصور تاريخية لم يكن لهم مكان آمن في العالم ، وأن الحكومات الإسرائيلية متمسكة بمصطلح الشعب اليهودي من يمينها وحتى يسارها بسبب المخاوف التاريخية القوية حول الهوية ، وإسرائيل ترى نفسها منذ تأسيسها دولة لليهود في العالم وليس دولة لجميع من هم يعيشون فيها من مواطنين ، والحديث اليوم بعد ٦١ عاماً من تأسيس إسرائيل عن دولة يهودية هو ممارسة شاذة للديمقراطية ، وإلغاء حق إسرائيل في الوجود يعتبر اليوم إبادةً عرقية ، وفي المقابل فإن دولة إسرائيل ولدت نتيجةً لجرائم اغتصاب وقعت لحقوق الشعب العربي الذي يعيش هنا ، لكن هذا الطفل الذي ولد لقيطاً ينبغي أن يبقى على قيد الحياة لأنه موجود. ويقر بأنه لا ينبغي لإسرائيل أن تكون دولة يهودية وإنما ينبغي لها أن تكون دولة ديمقراطية لجميع مواطنيها مع احتفاظها بصبغة ثقافية عبرية متطورة. ويرى أن كثيراً من اليهود وحتى العلمانيون منهم يشعرون أن اليهودية تربط بينهم في كل مكان ، وأنه من الطبيعي أن يتزايد الارتباط بين اليهود بعد ما حدث في المحرقة ، غير أنه لا يعني أنهم شعب واحد ، وهو يشعر أن ارتباطه بزميله العربي في الجامعة أقوى من ارتباطه بشخص يهودي يعيش في الولايات المتحدة ، ويقر بأنه ليس هناك ثقافة شعبية واحدة خاصة باليهود في العالم ، لأن ما يجمع بينهم هو الدين ، فاليهود في اليمن والولايات المتحدة والمغرب لا يقرؤون نفس الأدب ، وليس لهم أغان واحدة ، ولا يذهبون إلى ذات المسارح ، لكن لديهم صلاة موحدة ودين واحد. ويرى أن كل الشعوب نشأت نتيجة تمازج وليس هناك شعب نقي

تماما ، وهو مقتنع بأن هناك احتمالا كبيرا لكون الفلسطيني الذي يعيش في الخليل حفيد حقيقي لليهود القدامى أكثر منه هو نفسه. ويرى أن للفلسطينيين حق مشروع في العودة من ناحية أخلاقية أما من الناحية السياسية فلا ، لأن هذا الحلم قد يفضي عند تحقيقه إلى كابوس مزعج ، وإسرائيل مطالبة الآن بالاعتراف بأن تأسيسها تسبب في نكبة الفلسطينيين وتشريدهم ، واليهود مطالبون تاريخيا وأخلاقيا بتحمل المسؤولية عن معاناة الفلسطينيين المتواصلة. ويأمل في أن يتحقق يوما ما تأسيس دولة واحدة لليهود والفلسطينيين ، أما الآن فهو يؤيد حل الدولتين لمجتمعين وليس لشعبين. أما فيما يختص بتزايد وتنامي الاستيطان الإسرائيلي وأنه يجعل خيار الدولتين غير قابل للتحقيق يرى أنه يجب على أوروبا والولايات المتحدة إرغام إسرائيل على الانسحاب من كل الأراضي التي تحتلها ، ولا أحد يستطيع إرغام اليهود على القبول بخيار الدولة الواحدة التي يعيشون فيها مع الفلسطينيين لأنهم سيصبحون أقلية في هذه الدولة ، كما أن القبول بهذا الخيار يحتاج إلى توافق اليهود وهذا غير واقعي الآن ، وهو كصهيوني متطور يؤيد دولة إسرائيلية متجانسة على حدود ١٩٦٧م.

(٤)

الأمن في غزة

التداخل الجغرافي والسكاني والتاريخي بين مصر ، وقطاع غزة ، والضفة الغربية عميق لأبعد الحدود ، للدرجة التي جعلت عيون العدو الإسرائيلي على مصر لا يغمض لها جفن أبداً. لذلك نرى أنه رغم مرور ٣١ عاماً على توقيع اتفاقية كامب ديفيد ، إلا أن مؤامرات إسرائيل ضد الأمن القومي المصري لم تتوقف خصوصاً بعد تجرعها الهزيمة في حرب أكتوبر ، وفي لبنان وغزة بعد ذلك. التصريحات التي أدلى بها اللواء عاموس يادلين الرئيس السابق للاستخبارات الحربية الإسرائيلية خلال مراسم تسليم مهامه للجنرال أفيف كوخافي كافية لأن توضح حقيقة نوايا العدو الصهيوني تجاه مصر ، وهي أن مصر تمثل الملعب الأكبر لنشاطات جهاز المخابرات الحربية الإسرائيلية ، وأن العمل في مصر تطور حسب الخطط المرسومة. وأنهم أحدثوا الاختراقات السياسية ، والأمنية ، والاقتصادية ، والعسكرية في أكثر من موقع ، ونجحوا في تصعيد التوتر والاحتقان الطائفي والاجتماعي لتوليد بيئة متصارعة متوترة دائماً ومنقسمة إلى أكثر من شطر في سبيل تعميق حالة الاهتراء داخل البيئة ، والمجتمع ، والدولة المصرية ، لكي يعجز أي نظام يأتي بعد حسني مبارك عن معالجة الانقسام والتخلف والوهن المتفشي في مصر. وقدم عاموس كذلك صورةً تفصيلية لعمل المخابرات الحربية الإسرائيلية في فترة رئاسته داخل أراضي عدد من الدول العربية مثل مصر ، وسوريا ، ولبنان ، والسودان. حيث اعترف فيها بدور إسرائيلي واسع في مساعدة الحركات الانفصالية بجنوب السودان ، وبأنهم أنجزوا خلال السنوات

الأربع والنصف الماضية كل المهام التي أوكلت إليهم ، واستكملوا العديد من المهام التي بدأ بها من سبقوهم ، وأنهم أنجزوا عملاً عظيماً للغاية في السودان بأن نظموا خط إيصال السلاح للقوى الانفصالية في جنوبه ، ودربوا العديد منهم ، وقاموا أكثر من مرة بأعمال لوجستية لمساعدتهم ، ونشروا في الجنوب ودارفور شبكات رائعة وقادرة على الاستمرار بالعمل إلى ما لا نهاية ، وأنهم يشرفون حالياً على تشكيل الحركة الشعبية هناك ، وشكلوا لها جهازاً أمنياً استخباراتيا. وفي هذا السياق ورد في مقال للكاتب الأمريكي بن كوهين ، وهو كاتب عمود بارز لخدمة أخبار " الإعلام المتحد " ، وهو رئيس مجموعة السلم ، وهي شركة استشارية للاتصالات مقرها نيويورك ، انتقاد المؤرخ اليهودي سالو بارون دبليو لمفهوم " البكائية " و " المناحة " في التاريخ اليهودي بقوله " إن هذه النظرة للماضي اليهودي غالباً ما تلون إحساسنا بالحاضر اليهودي ، ونتيجة لذلك نحن نعتبر أنفسنا نملك عدداً قليلاً من الأصدقاء ، أو حتى لا صديق على الإطلاق في عالم معاد يظهر استياءه من إعادة إرساء سيادة يهودية بعد قرون كان فيها اليهود تحت رحمة الآخرين " ، ويرد قوله كذلك " إن التفكير بهذه الطريقة يمكن اعتباره خطراً ، لا أقول هذا لأنني أريد تسليط الضوء على التهديدات الإيرانية على إسرائيل ، أو لأنني لا أعتبر معاداة السامية في أوروبا والعالم الإسلامي مشكلةً كبيرة ، لكني أقول هذا لأننا لا ينبغي أن نسمح للأعداء بصرفنا عن حقيقة أن لدينا أصدقاء ، وأننا مدينون لهؤلاء الأصدقاء بالدعم في الأزمات وعند الأوقات العصيبة. " ، وأورد كذلك استراتيجية ديفيد بن غوريون المعروفة باسم " التحالف المحيطي " ، التي تعتبر أن السكان من غير العرب ، وغير المسلمين في الشرق الأوسط ، والمسيحيين من الأكراد والإيرانيين واللبنانيين ، هم شركاء طبيعيين في مواجهة الحملة العربية ضد الدولة اليهودية.

وفي ظل هذه المفاهيم اليهودية ، وبعد أن أعلنت دويلة جنوب السودان استقلالها في يوليو ٢٠١١م يدعو الكاتب المجتمعات اليهودية في أنحاء العالم وخاصة في أمريكا الشمالية إلى استعراض قوتهم لدعم جنوب السودان لضرورات أخلاقية وسياسية. وبين كذلك أن وكالات المعونة والتنمية الإسرائيلية المدعومة من قبل المنظمات اليهودية لعبت دوراً رئيساً في بناء الاقتصاد والبنية التحتية في الجنوب. والخلاصة التي توصل إليها الكاتب أن جنوب السودان هي الدولة الوحيدة التي يمكن حقاً أن تسمى " صديق إسرائيل " في منطقة مليئة بالأعداء البغيضين والحلفاء المتقلبين ، ودعم جنوب السودان في وقت الحاجة ليس مهمة إسرائيل وحدها بل ينبغي على الجاليات اليهودية في المهاجر أيضاً الدعوة إلى تجديد " التحالف المحيطي " . وبين الكاتب أنه على مدى العقد الماضي خلال الصراع في منطقة دارفور في غرب السودان كان اليهود الأمريكيون قاعدة حيوية للدعم وزيادة الوعي عبر الكنائس والمراكز الاجتماعية في جميع أنحاء البلاد ، وعبر لافتات تحالف " أنقذوا دارفور" شارك عدد كبير من اليهود في ذلك ، ولا يوجد سبب يمنع اليهود من تجديد هذا التضامن لشعب جنوب السودان لأن خصومهم هم خصوم لليهود، ولذلك يرى الكاتب أنه ينبغي تشكيل تحالف يضم اليهود ، والأكراد ، وجنوب السودان ، والمسيحيين اللبنانيين ، والديمقراطيين الإيرانيين ، وغيرهم ممن يسعون لمكافحة التأثيرات الخبيثة للتيار الإسلامي ، والتعصب العربي ، وأن يدعم بعضهم بعضاً.

وعلى صعيد العمل ألاستخباراتي الإسرائيلي في لبنان قاموا بصياغة عدد كبير من شبكات التجسس لصالحهم ، وشكلوا مؤخراً العشرات من الشبكات ، وصرفوا من الخدمة العشرات أيضاً ، وكان الهدف الأهم هو بسط كامل سيطرتهم على قطاع الاتصالات ، وهو

المورد ألمعلوماتي الذي أفادهم للحد الذي لم يكونون يتوقعونه ، كما أعادوا تأهيل عناصر أمنية داخل لبنان من رجال مليشيات كانت لهم علاقة سابقة معهم منذ السبعينيات إلى أن نجحوا تحت إدارتهم في العديد من عمليات الاغتيال والتفجير ضد أعدائهم في لبنان ، وأيضاً سجلوا أعمالاً رائعة في إبعاد الاستخبارات والجيش السوري عن لبنان ، وفي حصار حزب الله. وأشار إلى ضلوع المخابرات الإسرائيلية في اغتيال القائد العسكري اللبناني عماد مغنية ، و وصولهم إلى العمق الإيراني ، وقيامهم بأكثر من عملية لاغتيال وتفجير لعلماء ذرة وقادة سياسيين ، وكيف تمكنوا من مراقبة البرنامج النووي الإيراني.

وفيما يتعلق بقطاع غزة أشار إلى أن حركة حماس يجب أن تتلاحق عليها الضربات في الداخل والخارج ، لأن حماس تشكل خطراً شديداً عليهم ، لذلك من المفترض عليهم الانتهاء من إفشالها وتبديدها في الفترة الزمنية المحددة بالبرنامج المقرر في عمل جهازهم بكل دقة. الأصل في الكيان الصهيوني هو التجسس، لأن اليهود لا يثقون في الآخرين وإن كانوا أصدق أصدقائهم، فها هي واشنطن تقوم في كل فترة بالكشف عن شبكة إسرائيلية للتجسس عليها، ولذلك فإن العدو الصهيوني يسعى بكل الطرق لجمع المعلومات عن مصر وعزلها عن محيطها العربي، وتقليص دورها في الصراع العربي الصهيوني. والأخطر من هذا وبالتزامن مع تصاعد الأزمة الإنسانية في قطاع غزة منذ فوز حماس بالانتخابات التشريعية كثر الحديث في إسرائيل عن ضرورة تنفيذ مخطط صهيوني أمريكي قديم يقضي بإقامة دولة فلسطينية في شبه جزيرة سيناء تعرف باسم " غزة الكبرى" ، ودعا الحاخام اليهودي يونا متزغر في هذا الصدد بريطانيا والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة للمساعدة في نقل سكان غزة لصحراء سيناء منادياً بنقل الفقراء من سكان قطاع غزة إلى بلد جميل وعصري

تتوفر فيه القطارات ، والحافلات ، والسيارات كما هو الحال في ولاية أريزونا الأمريكية ، لأن العصر الحالي يمكن فيه بناء مدن في الصحراء ، وسيكون ذلك حلاً لهؤلاء الفقراء ، إذ سيكون لهم بلد وللإسرائيليين بلدهم الذي يستطيعون أن يعيشوا فيه بسلام. وعلق السياسي الفلسطيني حسن عصفور على تصريحات متزغر قائلاً أن المخطط الصهيوني يعود إلى عام ١٩٥٥م عندما ظهرت خطة جونستون لتوطين الفلسطينيين في سيناء التي رفضها الفلسطينيون وخرجوا رافعين شعار " لا توطين ولا إسكان يا عملاء الأمريكان" ، وأضاف أن المخطط الشيطاني هذا يستند لفرضية تضاؤل فرص قيام دولة فلسطينية متصلة على الضفة الغربية وقطاع غزة ، واحتمال تطور الأمر بالنهاية إلى نسف فكرة الدولتين ، وترحيل إدارة الضفة إلى الأردن حتى في ظل إدارة مدنية فلسطينية ، في حين يتم إلقاء عبء قطاع غزة على مصر. بل وكشفت تقارير صحفية مؤخراً أن من ضمن مخططات العدو الصهيوني ضد سيناء أيضاً تنفيذ أعمال إرهابية تستهدف بعض الأجانب ومقرات للقوات الدولية لخلق جو من التوتر على أمل ممارسة الضغوط على مصر للإسراع بخطة عزل غزة تماماً ، أو السماح بتوطين الفلسطينيين في سيناء وتنفيذ مقولة إسحق رابين رئيس وزراء دولة الكيان الصهيوني الأسبق والتي أكد فيها أن دولة العدو الصهيوني ستوجد ظروفاً في السنوات المقبلة من شأنها دفع الفلسطينيين لهجرة طبيعية وطوعية من قطاع غزة والضفة الغربية ، والتي سرعان ما فسرتها تقارير صحفية إسرائيلية بحالة الحصار التي عانى منها قطاع غزة ، وقام خلالها فلسطينيون بتحطيم الحواجز على الحدود ، وعبور بوابة صلاح الدين إلى العريش المصرية. وجاء في صحيفة البيان الإماراتية أن السلطات المصرية قامت في يناير ٢٠٠٨م بالبحث عن مجموعة يعتقد أنها تابعة للمخابرات الإسرائيلية كانت

تخطط لتنفيذ أعمال إرهابية في سيناء. كما كشفت مصادر دبلوماسية أوروبية للصحيفة أن السفارات الإسرائيلية في لندن وباريس وواشنطن تلقت تعليمات بالبدء في تسريب معلومات تفيد بأن تنظيم القاعدة وبعض الجماعات الفلسطينية تعد للقيام ببعض الأعمال الإرهابية في سيناء بهدف توتير العلاقات بين مصر وغزة.

وفي مجال التعاون الأمني بين الاستخبارات الإسرائيلية وجهاز الأمن الوقائي الفلسطيني كشف اللواء مصباح صقر أول رئيس لجهاز الأمن الوقائي الفلسطيني عن المدى الذي وصل إليه التنسيق الأمني بين استخبارات العدو الإسرائيلي وجهاز الأمن الوقائي الفلسطيني ، وعن أسرار تحوله من مجرد بند في الاتفاقيات إلى عقيدة عسكرية تنفذها الأجهزة الفلسطينية بغض النظر عن التزام الطرف الآخر ببنود هذه الاتفاقيات ، أو فشل المفاوضات ، وتعثر التسوية ، وأن الطرف الفلسطيني يقدم كل شيء مقابل لا شيء. اكتشف صقر سعي العدو الإسرائيلي لترسيخ اختلال التوازن بكل السبل ، بما في ذلك إبعاد أي شخص لا يرغبون فيه عن الأجهزة الأمنية الفلسطينية إذا ما فكر في معارضة ما يملون عليه حتى لو فيه مخالفة الاتفاقيات. نص البروتوكول الملحق باتفاق القاهرة الموقع عام ١٩٩٤م وما تلاه من اتفاقات أمنية شددت القيود على عمل كل الأجهزة الفلسطينية ، فلا مجال لهذه الأجهزة لأي عمل منذ اللحظات الأولى لميلادها لا يخدم الأمن الإسرائيلي أو المصلحة الإسرائيلية ، ومع كل اتفاقية جديدة كان يضاف قيد أمني جديد ، في اتفاقية واشنطن عام ١٩٩٥م يوجد نص صريح يلزم الأجهزة الأمنية الفلسطينية بمحاربة الإرهاب والعنف ومنع التحريض عليه ، أما اتفاقية وادي ريفر نهاية تسعينيات القرن الماضي فكانت أكثر صرامةً لاعتبارها الفصائل الفلسطينية المقاومة منظمات خارجة عن القانون ، وهو ما وضع السلطة الفلسطينية بجميع

أجهزتها في مواجهة وصراع مع هذه الفصائل بما فيها حركة حماس ، وأعطى مبرراً لأجهزة الأمن الإسرائيلية للإلحاح المستمر في طلب معلومات عنها ، وعن كوادرها للاستفادة منها في توجيه الضربات لها. وأشار إلى توقعات الباحث الأمريكي ستيفن بللتيير المتعلقة باستمرار السلطة الفلسطينية في لعب دور الشرطي بالوكالة لقمع الانتفاضة وسحق المقاومة ووقوعها تحت تهديد إسرائيل بالتراجع عن التزاماتها إذا لم تتحقق مطالبها ، وعلى الرغم من الضغوط الإسرائيلية التي بدأت تتعاظم على السلطة الفلسطينية في ظل امتلاء سجونها بكوادر التنظيمات المعارضة ، وتعرضهم للتعذيب وربما الموت ، فإن توقعات الباحث الأمريكي تحققت بالفعل ، حيث تراجعت إسرائيل عن التزاماتها بالانسحاب عن المزيد من الأراضي ، بل وعادت لاحتلال ما سبق أن انسحبت منه فضلاً عن التصعيد الذي بدأ بفرض الحصار والعقوبات الاقتصادية وانتهى باحتلال الضفة الغربية وتدمير مقرات الأجهزة الأمنية واستباحة المدن والقرى ، ويعتبر صقر أن التنسيق الأمني هو بالدرجة الأولى حاجة أمنية إسرائيلية ، ودليله على ذلك أن الرئيس عرفات تجرأ على وقف التنسيق الأمني مع الاحتلال مرتين الأولى عندما قررت حكومة الاحتلال بناء مستوطنة ضخمة في القدس في عام ١٩٩٧م ، والثانية مع بداية انتفاضة الأقصى ، كان ذلك لفترة قصيرة استجاب بعدها عرفات للضغوط والإغراءات المالية الأمريكية والأوروبية لاستئناف التنسيق. بعد إيقاف عرفات للتنسيق الأمني في المرة الأولى كان من الصعب على الأجهزة الإسرائيلية أن تقبل توقف سيل المعلومات المتدفق من قبل الأجهزة الفلسطينية عن المقاومة ولو ليوم واحد خاصةً بعد سلسلة العمليات التي شنتها حركة حماس وبقية فصائل المقاومة داخل العمق الإسرائيلي رداً على اغتيال الشهيد يحي عياش ، وكان الحل في وجود طرف ثالث يمتلك من الضغوط السياسية

والمالية على السلطة الفلسطينية ما يمكنه من ضمان استمرار التنسيق الأمني ، لذا دخلت وكالة المخابرات الأمريكية كوسيط مباشر بين الإسرائيليين والفلسطينيين ، وهو ما تحول إلى مشاركة أمريكية حقيقية في أكتوبر عام ١٩٩٨م عندما أصبح التنسيق يتم تحت إشراف لجنة ثلاثية يرأسها المنسق الأمريكي وفقاً لاتفاقية واي بلانتيشن التي أكدت ضرورة اجتثاث خلايا المقاومة من جذورها ، والسيطرة على عمليات تهريب السلاح لها ، فضلاً عن استمرار جمع المعلومات عنها.

منذ انتصار الثورة المصرية أخذ موضوع شبه جزيرة سيناء يحتل حيزاً كبيرا من تصريحات وتحليلات الساسة والصحفيين الإسرائيليين ، حيث يتخوف هؤلاء من الانفلات الأمني الحاصل في سيناء بعد الثورة ، وأثر ذلك على المدن والمستوطنات الإسرائيلية. فقد أكدت دراسة إسرائيلية أن سيناء تتحول بوتيرة سريعة إلى مركز لعدم الاستقرار، ونقطة انطلاق محتملة لما يسمى بالإرهاب ، ومصدر للتوتر بين مصر وإسرائيل ، وأن التطورات في سيناء يمكن أن تنهى حالة السلام الثنائي الهش بين مصر وإسرائيل.

وأشار تقرير صادر عن معهد واشنطن إلى أن الأداء القوى للإسلاميين في الانتخابات البرلمانية المصرية يعد سببًا لقلق إسرائيل لأن أي حكومة إسلامية في مصر قد تغض الطرف عن الجماعات الإرهابية في غزة وسيناء أو حتى ستقوم بتحريضها. وبالمقابل يرى المسئولون المصريون أن في هذه الأقاويل الإسرائيلية الكثير من التضخيم والتهويل بغية تنفيذ خطة ما ، وذلك لأن سيناء تعتبر جزيرة غير مأهولة تقريبا ولا يمكن لسكانها أن يشكلوا خطرا حقيقياً على إسرائيل. حتى أن بعض المسئولين ذهب للقول بأن إسرائيل هي من تحاول إثارة الفتن والمشاكل داخل سيناء ، فقد انتقد اللواء السيد مبروك

محافظ شمال سيناء تصريحات المسئولين الإسرائيليين حول تحول سيناء إلى بؤرة للإرهاب وأن مصر لا تستطيع بسط سيطرتها على سيناء ، مؤكدا أن سيناء مستقرة أمنيا ومؤمنة تماماً ولكن إسرائيل تسعى من حين لآخر لزعزعة استقرار شبه جزيرة سيناء بمزاعم ليس لها أساس من الصحة. وأضاف محافظ شمال سيناء في رده على تصريحات كان أطلقها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وقال فيها إن مصر على ما يبدو تواجه صعوبة في السيطرة على سيناء إن قوات الأمن تحكم سيطرتها على حدود مصر الشرقية تماماً ، وتبسط سيطرتها على كل الأراضي المصرية في سيناء متهما إسرائيل بتهريب السلاح إلى الأراضي المصرية بهدف زعزعة الاستقرار. ويربط محافظ شمال سيناء بين تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي وبين فتح معبر رفح البري بشكل دائم ، والمصالحة بين حركتي 'فتح' و 'حماس' ، والتقارب المصري مع دول أخرى ، قائلا إن ذلك أزعج 'إسرائيل' على ما يبدو من تصريحات مسئوليها. وكان نتنياهو قد أشار إلى أن ما يحدث في سيناء هو أن ما يسمى بـ "منظمات الإرهاب العالمي "يثيرون ضجيجا يتزايد هناك بسبب العلاقة ما بين سيناء وبين قطاع غزة. وذكر أن حركة 'حماس' تزداد قوة في الأراضي المصرية قائلا: "إن الحركة قامت بنقل معظم نشاطاتها إلى مصر من دمشق بسبب حالة الغليان التي تشهدها سوريا'.

ويرى محللون مصريون أن تصريحات المسئولين الإسرائيليين ما هي إلا مقدمة تمهيدية لعمل عسكري ستشنه 'إسرائيل' على شبه جزيرة سيناء وقد ينتهي بإعادة احتلالها ، وذلك بحجة أنها باتت تشكل خطرا على أمن 'إسرائيل' ، ويستند هؤلاء في تحليلاتهم على دعوة وجهها حزب 'إسرائيل أرضنا' اليميني المتطرف لإعادة احتلال شبه جزيرة سيناء بعد الثورة مباشرة زاعما أنها جزء لا يتجزأ من الأراضي

الإسرائيلية التي أوصت التوراة شعب إسرائيل باستيطانها. ووزع الحزب بيانا بعنوان 'إعادة احتلال سيناء' ، اشتمل على كلمة ألقاها يسرائيل آريئيل حاخام مستوطنة يميت الإسرائيلية طالب فيها بإعادة احتلال سيناء فورا وزرعها للمستوطنين اليهود ن وذلك تنفيذا لأوامر التوراة محذرا من تداعيات ثورة ٢٥ يناير على الأوضاع السياسية والاستراتيجية لإسرائيل خلال السنوات العشر المقبلة.

هذا وتحظى فكرة إعادة احتلال سيناء بتأييد غالبية الإسرائيليين ، فقد كشف استطلاع للرأي أجراه مركز 'موشيه ديان ' للدراسات السياسية والاستراتيجية أن ٦٢ % من الإسرائيليين عبروا عن رغبتهم في إعادة احتلال شبه جزيرة سيناء المصرية ، بينما رفض ٢٤ % هذه الفكرة ، فيما رفض ١٤ % التصويت. وأوضح الاستطلاع أن المؤيدون لفكرة إعادة احتلال سيناء يستندون إلى أن تلك الخطوة ستضمن الأمن للمدن الصهيونية الجنوبية موضحين أن السبب الرئيسي في هجمات إيلات الأخيرة والتي قتل فيها أكثر من ١٢ شخصًا ترجع إلى عدم قدرة السلطات المصرية على السيطرة على الأوضاع في سيناء.

تتحدث التقارير الإسرائيلية على أنه لا خلاف بين الدوائر المسئولة عن بلورة التقدير الاستراتيجي في تل أبيب على أن سيطرة حركة حماس على قطاع غزة قد مثل تغيراً كبيراً ودراماتيكياً بالغ الخطورة في البيئة الاستراتيجية التي تلف الكيان الإسرائيلي. وعلى الرغم من الطبيعة السرية للمداولات التي تجري في هذه الدوائر ، وتحديداً في قسم الأبحاث التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية المعروفة ب " أمان " ، إلا أن الجدل الدائر بين النخب العسكرية حول تداعيات التطورات الأخيرة في غزة يشير إلى أن هذه الدوائر شخصت مكامن الخطر على

الأمن القومي الإسرائيلي كنتيجة لسيطرة حماس على القطاع. ويذكر التقرير هذه المخاطر التي منها أن القطاع تحت سيطرة حماس يمثل تهديداً استراتيجيا عسكرياً ، ولأول مرة يكون على الحدود كيان تسيطر عليه حركة ذات توجه إسلامي ترفض الكيان الصهيوني وتعلن النية في القضاء عليه. إضافةً إلى خشية إسرائيل من أن يساهم هذا الكيان في زعزعة وجود أنظمة الحكم في الدول العربية في محيط فلسطين. كما تخشى من انتقال التجربة إلى الضفة الغربية.

ثم يتناول التقرير آليات التحرك المقترحة إسرائيلياً لمواجهة حماس من خلال الضغوط الاقتصادية ، والرهان على أبو مازن ، والدور المصري الذي ترى إسرائيل أنه قادر على خنق حماس في غزة مع أن مصر حريصة على الهدوء والاستقرار في غزة. ويخلص التقرير إلى أن إسرائيل الرسمية لا زالت تحاول رصد الفرص والمخاطر التي أسفرت عنها الأحداث الأخيرة ، والمؤكد أن تل أبيب غير واثقة تماماً كون هذه الفرص ستستحيل مخاطر أو العكس.

تفاقمت الأزمات في قطاع غزة كثيراً لدرجة باتت تتوالى المشكلات واحدة بعد الأخرى ، ما جعل معظم أهل غزة يشعرون بيأس وإحباط غير مسبوقين. فبعد أزمة الكهرباء التي يعاني منها أهل القطاع منذ شهر ونصف ، طفت على السطح أخيراً أزمة الغاز المنزلي ، وأصبح الناس يمضون جزءً من أوقاتهم في الجري وراء تعبئة أسطوانة غاز ، أو الاصطفاف في طوابير طويلة لتعبئة القليل من الوقود في سياراتهم ، سواء من البنزين أو الديزل.

وبرزت أزمة الغاز المنزلي في الآونة الأخيرة ، و تفاقمت حتى أصبح لزاماً على مواطن غزة الانتظار بين عشرة أيام إلى أسبوعين لتعبئة أسطوانة سعة ١٢ كيلوغراماً من غاز الطهي. وعزا موزعو

وشركات الغاز الأزمة إلى خفض إسرائيل المتعمد لكميات الغاز الموردة إلى القطاع عبر المعبر التجاري الوحيد ، وهو معبر كرم أبو سالم الذي يربط القطاع بإسرائيل.

وبعد أكثر من شهرين من ظهور أزمة الوقود المهرب من مصر إلى القطاع عبر الأنفاق في مدينة رفح الحدودية أقصى جنوب القطاع ، استمر تدفق البنزين المصري من نوع (سوبر) الذي يُباع بأربعة شواكل وعشرة أغورات للتر الواحد. (الدولار الواحد يعادل ثلاثة شواكل وسبعين أغورة). إلا أن هذا النوع من البنزين الذي اعتمد عليه أهل غزة ساعد كثيراً في سد حاجة سياراتهم وفي تشغيل مولدات الطاقة الكهربائية المنزلية اختفى أخيراً من محطات الوقود ، فيما تورد إسرائيل كميات قليلة من البنزين إلى القطاع حيث يصل سعر اللتر الواحد منه إلى أكثر من سبعة شواكل ، وهو مبلغ لا يقوى معظم المواطنين على دفعه.

وتأتي كل هذه الأزمات في وقت تراوح فيه أزمة الكهرباء مكانها من دون أن تجد حلاً منطقياً ومعقولاً يُنهي معاناة مليون ونصف المليون فلسطيني استمرت ست سنوات منذ أن قصفت طائرات الاحتلال الإسرائيلي محطة توليد الطاقة الوحيدة في القطاع في نهاية حزيران (يونيو) عام ٢٠٠٧ غداة أسر الجندي غلعاد شاليت. وبعدما تم إصلاح هذه المحطة بعد نحو عام من قصفها برزت أزمة الوقود عندما رفضت إسرائيل توريد الكميات المطلوبة منه لتشغيلها ، فيما أوقف الاتحاد الأوروبي أواخر عام ٢٠٠٩ تمويل أثمان الوقود مباشرة وأحالها على خزينة السلطة الفلسطينية بناءً على طلبها.

(٥)

الرحلة إلى غزة

كنت أظن في بادئ الأمر أن رحلتي سوف تكون بالطائرة من مطار الخرطوم إلى مطار غزة مباشرةً ، ولكني فرحت فرحاً منقطع النظير عندما علمت من اللجنة المنظمة للمؤتمر أن خط سير رحلتي سوف يكون بالطائرة من الخرطوم إلى القاهرة ومن بعد ذلك بالأتوبيس من القاهرة إلى غزة عبر معبر رفح لسببين ، الأول هو أني سوف أرى معبر رفح ، هذا المعبر الشهير الذي شغلت أخباره الدنيا وأقامتها ولم تقعدها حتى الآن ، والثاني أنه ستتاح لي الفرصة لأرى قناة السويس وشبه جزيرة سيناء الموقعان اللذان ظلا حاضران في كل الحروب التي خاضتها مصر العظيمة مع العدو الإسرائيلي.

ركبت طائرة الخطوط الجوية المصرية (الإيرباص) في رحلتها من الخرطوم إلى القاهرة، لا أقول أن الخدمات على متنها كانت أكثر من ممتازة ولكن أقول كانت لها نكهة خاصة، ومذاق خاص والركاب يتصفحون صفحات مجلة (حورس) إله الشمس ابن إزيس وأوزريس يقرؤون فيها عن واحة (سيوة) تلك الواحة التي ملؤها وعبقها التاريخ بكثبان بحر رملها العظيم، التي طمرت في جوفها جيوشاً بأكملها. كانت الطائرة تطير بنا فوق السحاب على ارتفاع لا يقل عن ثلاثين ألف قدم ، ومن نوافذها كنا نرى عالماً آخراً غير الذي ألفناه ، فضاءً شفافاً تتحرك فيه السحائب البيضاء ولسان حالنا يردد " سبحان الخالق المصور الذي أبدع كل هذا الجمال " ، وبعد مضي ساعة زمان أو أقل قليلاً تناولنا فيها إفطاراً دسماً رأينا تحتنا شريطاً أخضراً غامقاً يفصل بين مسطحين صفراويي اللون ، ثم بدأت الطائرة تهبط بنا شيئاً فشيئاً

من عليائها وهي تهتز كريشة في مهب الريح ، وانتابنا شعور قوي بالخوف فنحن معلقون بين الأرض والسماء نخترق مجالات كهرومغناطيسية بين برق ورعد ، والأخطاء البشرية واردة والأعطال الميكانيكية كذلك واردة ، خفنا للدرجة التي جعلتنا نخشى على أنفسنا من أن تصبح مادةً إعلاميةً دسمة يتم تناولها ضمن نشرات الأخبار ، أو صورة حزينة تبث عبر شاشات الفضائيات كغيرها من صور الموت والدمار التي أصبحت تحدث يومياً نتيجةً للحروب والكوارث ، التي ألفها المشاهدون وما عادوا يكترثون لها أو يعيرونها اهتماماً ، لأنها أصبحت لهم عادية وروتينية كتناولهم لوجبات طعامهم أو خلودهم للنوم. ثم بدت لنا أسطح العمارات الشاهقات ، ومن بعدها السيارات التي تجوب الشوارع ، كل ذلك كان يحدث وآذان الركاب تنغلق تارةً وتنفتح تارةً أخرى وفي داخلها وقر ووخز يصطحبه ألم فظيع ، وأخيراً هبطت بنا الطائرة بسلام على واحد من مدرجات مطار القاهرة الدولي فحمدنا الله على سلامة الوصول. وبعد أن ذهب عن أذننا ألم ووجع الوخز والتصفير ، وعادت لها حالتها الطبيعية أحسسنا ببرودة الطقس حيث كانت درجة الحرارة خمسة عشر درجة مئوية فقط ، وهذه الدرجة المتدنية للحرارة لا تتناسب معنا نحن أهل السودان ، أهل المناطق المدارية الحارة.

حسب الإرشادات التي قدمتها لي اللجنة المنظمة للمؤتمر أخذت سيارة تاكسي إلى فندق رويال مارشال بمصر الجديدة ، حيث استقبلني فيه بكل الحفاوة والتقدير مندوب جامعة الأقصى الأستاذ مهند ، ومن ثم قضيت ليلةً هنيئةً ممتعةً وسط كرم الضيافة ، وفخامة المكان ، ونداوة الأحلام ، التي أنستني مفارقتي لأهلي وأحبتي وخلاني ، وما أنستني تعب ولا نصب ، لأن السفر على بساط الريح أصبح يتم ما بين غمضة عين وانتباهها.

التقينا في الصباح الباكر في بهو استقبال الفندق ، كنا خمسون رجلاً وثلاث نسوة من أساتذة وعمداء الدراسات العليا والبحث العلمي من بعض الجامعات العربية ، أتوا من جامعات مصرية وسودانية وأردنية وعراقية ، أتوا لكي يذهبوا إلى غزة ليشاركوا في فعاليات مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي الذي تستضيفه جامعة الأقصى تحت مظلة اتحاد الجامعات العربية ، أتوا لكي يتطهروا بالمشي فوق تراب غزة الذي تطهر بأشعة شمس الحرية وبدماء الشهداء والجرحى وبدموع الثكلى ، ولكي يكسروا الحصار البري الجائر بمصافحة تلكم الأكف الشريفة التي ما انفكت تلقن العدو الإسرائيلي الدرس تلو الدرس وتقول له في وجهه المقزز أن (لا) ، و(لا) ، ثم (لا) للاعتراف بنبت شيطاني قام على الظلم ويتغذى بالظلم ، وأنه طال الزمن أم قصر لا محالة إلى زوال ، ولكي يكسروا كذلك كل أنواع الحصار الأخرى العلنية والخفية ، بما فيها الحصار العلمي الذي يقوم على حجب المعلومة ومنع التواصل بين علماء غزة وغيرهم من العلماء ، فتنفتح بذلك لعلماء غزة كل الآفاق العلمية والمعرفية ، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى تطور البحث العلمي العربي المشترك وإلى سيره في الاتجاه الصحيح الذي يفضي إلى تقليص فجوة التفوق العلمي والتكنولوجي للعدو الإسرائيلي وصولاً إلى مرحلة التوازن بين الطرفين ، وفي تلكم اللحظة التاريخية سوف يشهد العالم كيف يتسابق شذاذ الآفاق هؤلاء - الذين أتوا من كل حدب وصوب ، والذين لا يعلم أحد يقيناً من أين أتوا ، ولماذا أتوا ، وكيف أتوا ، وإلى أي تيه هم ذاهبون- في حزم أمتعتهم ، وكيف يتزاحمون طلباً للرحيل فرادى وجماعات ، براً وبحراً وجواً ، ومشياً على الأقدام ، وزحفاً بالركب ، بعيداً عن الأرض التي اغتصبوها بالمكر والتواطؤ والخديعة والدهاء ،

وقتلوا من قتلوا من أهلها ، وشردوا من بقي منهم حياً عن ديارهم وحقولهم.

تصافحنا جميعاً بأيدي المحبة والأخوة قبل أن نجلس على مقاعد الأوتوبيس الذي تحرك بنا في شوارع القاهرة العلوية والسفلية المزدحمة بالسيارات ، وما أحسسنا أن لهذه القاهرة الساحرة نهاية أو قرار ، فالعمران ممتد ومتصل على جانبي الطريق السريع الموصل إلى الإسماعيلية. شدت أنظاري طوال الطريق بساتين أشجار البرتقال واليوسفي التي ناءت أغصانها بحملها الداني من وافر الثمر الذي كان يتوهج بفعل أشعة الشمس بلون ذهبي بديع دغدغ حواس اشتهائي ، وملأ حاسة شمي بعبير ورياحين الفاكهة.

وصلنا إلى مدينة الإسماعيلية تلك المدينة الكبيرة التي تعتبر من أحدث المدن المصرية ، إنها نشأت مع افتتاح قناة السويس في ١٨٦٩/١١/١٦م في عهد الخديوي إسماعيل الذي أخذت اسمها من اسمه ، وهي تحتضن ذلك الصرح التعليمي المتميز جامعة قناة السويس. ومنها انطلقنا شرقاً ونحن لا نمل النظر من نوافذ الأوتوبيس في ديباج أخضر نضير للمزروعات وأشجار النخيل والفواكه النامية في حقول تحفها وتحتضنها كثبان الرمال في رقة وعذوبة متناهية ، تحكي عن جمال الطبيعة التي سخرها الله مبدع هذا الكون المليء بالغرائب والعجائب والعبر والدروس ، إلى أن بلغنا مدينة القنطرة غرب التي تقع على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وعلى طول الطريق كنا نشاهد فصول ملحمة الفلاح المصري وهو يحول الأرض الرملية إلى جنان خضرا ، وكيف يربي الدواجن في غرف مبنية من الطين متراصة كعربات القطار متناثرة على طول الطريق بما يكفي لمقابلة طلب المستهلكين المصريين من البيض والفراخ في مجتمع يبلغ

عدد سكانه ٨٢ مليون نسمة تقريباً ، ثم صعدنا جسر السلام أو جسر قناة السويس ، وهو الجسر المعلق الذي يربط بين قارتي آسيا وأفريقيا ، وبين شبه جزيرة سيناء وباقي الأراضي المصرية ، وعبرنا من فوقه قناة السويس ، وكان منظراً خلاباً أعاد لنا شريطاً طويلاً من الأحداث التاريخية التي صاحبت حفر هذا الممر الصناعي المائي الذي يمتد بطول ١٩٣كم وبغاطس بعمق ٥٨ قدم بين مدينة بورسعيد على البحر الأبيض المتوسط ومدينة السويس على البحر الأحمر ، ويمر على أربع بحيرات هي بحيرة المرة الصغرى ، وبحيرة المرة الكبرى ، وبحيرة المنزلة ، ثم بحيرة التمساح. استغرق حفر هذه القناة عشر سنوات (١٨٥٩-١٨٦٩م) تحت إشراف المهندس الفرنسي دي لسبس ، وبنهاية حفرها تم استخراج ٧٤ مليون متر مكعب من الرمال ، وبلغت التكاليف ٣٦٩ مليون فرنك فرنسي ، وعدد العمال الذين عملوا فيها مليون عامل مصري مات منهم أثناء الحفر ١٢٥ ألف عامل بسبب الزحام وعدم وجود الرعاية الصحية الكافية ، مما أدى إلى تفشي الأوبئة مثل الكوليرا والجدري بينهم. بعد نزولنا من الجسر استقبلتنا مدينة القنطرة شرق التي لا تقل جمالاً وروعة عن سابقتها مدينة القنطرة غرب ، وقبل أن نصل منها إلى مدينة العريش عاصمة محافظة سيناء ، والتي تعتبر أكبر مدينة صحراوية في مصر كنا نرى أحياناً مسطحات مائية في جوف الصحراء ، ومياه البحر الأبيض المتوسط ليست منا ببعيدة ، نراها رأي العين ، وأحياناً أخرى كنا نرى مجموعةً كبيرةً من أشجار النخيل تنمو في المنخفضات بين كثبان الرمال العالية ، ومن هناك وصلنا إلى الشيخ زويد ، تلك المدينة التي تحمل اسم أحد أولياء الله الصالحين ، والتي يفصلها عن ميناء رفح البري خمسين كيلومتراً فقط. وقبل أن نصل إلى رفح المصرية مررنا بمدينة بئر العبد ، والتي تشتهر بزراعة الخضروات وأشجار الفواكه ، خصوصاً التين

والزيتون التي يرويها بدو سيناء بمياه الآبار الجوفية. ثم مررنا بترعة السلام التي تعتبر إحدى مشروعات الري المصرية الكبرى التي تهدف إلى نقل مياه النيل إلى أراضي جديدة في مصر تبلغ مساحتها ٦٢٠ ألف فدان ، ولكن ما أحزننا وحيرنا أن محطات المراقبة ومحطات توزيع المياه مهجورة ، ومجرى الترعة لم يسلم من الخراب ، وتآكلت طبقاته الإسمنتية ، ولم يسلم من زحف رمال الصحراء التي استقرت في القاع عوضاً عن الماء. من بين كثبان الرمال ، ومن بين أشجار الخوخ الجرداء السوداء بزهورها البيضاء في فترة سكونها الشتوي ، ومن بين نباتات الصبار أو التين ألشوكي بكفوفها العريضة وزهورها الصفراء وثمارها ذات اللون الأصفر أو الليموني أو الأحمر ، ومن بين المدرعات وحاملات الجنود التي أصبحنا منذ وصولنا مدينة العريش نألف رؤيتها بشكل كثيف عند مراكز التفتيش وتقاطعات الطرق ، من بين كل هذا المزيج الجميل بدت لنا بنايات صفراء الطلاء عرفنا من الكتابة البارزة على أعلى مدخلها الكبير أنه ميناء رفح البري من الجهة المصرية.

استغرقت رحلتنا من القاهرة إلى معبر رفح زهاء السبع ساعات ، (بدأت عند الساعة ٧:٣٠ صباحاً وانتهت عند الساعة ٢:٣٠ بعد الظهر) ، توقفنا فيها مرتين ، الأولى بأحد كافيتريات مدينة العريش لتأدية الصلاة ولتناول بعض المشروبات الساخنة والمأكولات الخفيفة ، و الثانية توقفنا فيها لفترة ليست بالقصيرة بسبب قطع العشرات من بدو سيناء للطريق احتجاجاً على قيام أجهزة الأمن المصرية بإزالة مساحات كبيرة من الزراعات الخاصة بهم وتجريف أرضهم. بعد نزولنا من الأوتوبيس عند معبر رفح لاحظنا أن الطقس أكثر برودةً عنه في القاهرة ، وبمجرد نزولنا أقبلت نحونا مجموعات من أهل رفح

المصرية الذين يتكسبون من العمل في الميناء البري وهم يعرضون علينا خدماتهم لنقل أمتعتنا إلى صالة التفتيش ، وخدماتهم المصرفية لتبديل العملات بالجنيه المصري أو الشيكل الإسرائيلي أو الدولار الأمريكي لأنه لا توجد عملة فلسطينية وطنية ، ويعرضون علينا كذلك أصنافاً من منتجات بدو سيناء الزراعية من بلح وتمر وجوز ولوز. بعد تمريرنا لأمتعتنا من خلال آلة الفحص وخضوعنا للفحص الشخصي الآلي دخلنا صالة انتظار الركاب ، جلس بعضنا على مقاعد وظل آخرون واقفين على أرجلهم لأن باقي المقاعد كان إما مكسوراً أو تكدست فوقه أمتعة المسافرين أو جلس عليها المسنون والأطفال الذين ظلوا لساعات طوال لا يعلم مداها إلا الله وهم ينتظرون في حسرة وألم استكمال إجراءات دخولهم للقطاع. لم يكن حالنا بأحسن من حال هؤلاء الناس الطيبين المغلوبين على أمرهم ، ظللنا في حالة انتظار ممل مثلهم لفترة أكثر من خمس ساعات في ظروف غير مريحة ، منها سوء الخدمات ، ومنها بؤس معروضات المحل الخدمي الوحيد بالصالة ، ومنها قذارة دورات المياه. كل ساعات الانتظار الطويلة القاتلة تلك كانت بحجة أن كشف الأسماء الوارد للسلطات الأمنية بالمعبر لا يشمل اسمي اثنين من أعضاء وفدنا أحدهما سوداني الجنسية والآخر عراقي. ولأول مرة شد انتباهنا الدكتور شاكر العالم المصري الجنسية الذي رأيناه يقف خلف الكاونتر مع ضباط وزارة الداخلية المصرية فحسبناه واحداً منهم ، ثم رأيناه بعد ذلك يقود جولات المفاوضات الطويلة والمتقطعة بين الأساتذة الذاهبين للمشاركة في المؤتمر وضباط وزارة الداخلية المصرية. كانت آراء الأساتذة متشعبة ومتباينة ، منهم من كان يقول أن المخابرات الإسرائيلية ما زالت تلعب دوراً أساسياً في تحديد

من يدخل القطاع ومن لا يدخل ، ومنهم من كان يقول أن لون جواز سفر الأستاذ السوداني يختلف عن ألوان الجوازات السودانية الأخرى ، وأن صاحب هذا الجواز هو الرئيس الوحيد لجامعة من بين الأساتذة السودانيين ، مما أثار الشك والريبة لدى رجال الأمن والاستخبارات ، ومنهم من كان يقول أن أذيال مبارك ما زالوا باقين في مواقعهم ، وأن سياسات النظام السابقة بإذلال الناس ما زالت هي الموجودة على أرض الواقع المصري. وفي نهاية المطاف التفت آراء العلماء حول ثلاثة مقترحات ، إما أن يدخل كل أعضاء الوفد إلى قطاع غزة ،أو أن يعودوا أدراجهم كلهم ويفشل المؤتمر بعد كل التجهيزات الضخمة والحملة الإعلامية الكبيرة التي صاحبته والآمال العريضة التي عقدت عليه ، أو أن يدخل أعضاء المؤتمر الذين وردت أسماؤهم ضمن الكشف ويعود الآخران ومعهما مندوب جامعة الأقصى إلى مدينة العريش ويعودوا غداً في التاسعة صباحاً على أمل أن تستكمل لهما إجراءات الدخول ، بشرط أنه في حالة عدم دخولهما يقاطع أعضاء الوفد الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ويحملون السلطات المصرية مسئولية فشل المؤتمر. وبعد مداولات ومشاورات مستفيضة ، وضمانات من الجانبين المصري والفلسطيني نال المقترح الأخير القبول من الغالبية الغالبة من الأساتذة ، عبرنا بأوتوبيس آخر إلى الشق الفلسطيني من معبر رفح بعيد صلاة المغرب ، وما أبهى ، وأجمل ، وأبسط ، وأصدق ، وأعمق الاستقبال ، اصطف رجالات جامعة الأقصى المستضيفة للمؤتمر في صف واحد يقدمهم الأستاذ الدكتور سلام الأغا القائم بأعمال رئيس الجامعة ، وفي معيته الدكتور محمد رضوان نائب رئيس الجامعة للشئون الأكاديمية ، والأستاذ الدكتور موسى إبراهيم أبو دقة

عميد الدراسات العليا والبحث العلمي ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر ، ودكتور فائق الناعوق عميد القبول والتسجيل ، والدكتور رمضان الزيان عميد التخطيط والتطوير ، والدكتور زهير عابد عميد كلية الإعلام ، ومعهم كل القيادات الإدارية والأكاديمية بالجامعة. وبعد تبادل كلمات الترحاب والاستقبال المفعمة بالمشاعر الفياضة شرفونا بأن وضعوا حول أعناقنا وأكتافنا كسوةً من الشال الفلسطيني ذو اللونين الأبيض والأسود بنقشاته التي تشبه الأسلاك الشائكة التي تعني الحصار ، والإمبريالية ، والصهيونية ، والذي يرمز للانتماء ، والكفاح ، والثورة ، ورفض كل أنواع الظلم والاضطهاد السائدة ، والنضال لأجل تغييرها.

وكانت تلكم هي البداية ، وما أبلغها وما أبهاها من بداية ، شاهدنا فيها ، وصافحنا ، وسمعنا كلام أناس كنا لا نعدهم من أهل هذا الزمان ، ونحسبهم آية من آيات الله في الأرض ، قيمهم ، وأخلاقهم ، وأفعالهم ، وتضحياتهم ، وصبرهم ، وثباتهم ، لا شبيه لها في عالم اليوم ، عالم المادة ، والكذب ، والنفاق. ومن ثم أعطونا كلمة السر ، التي بها وحدها يكون في إمكاننا الدخول إلى أرض غزة ، ((أدخلوها بسلام آمنين)).

(٦)

حياة الحصار

الحياة الإنسانية الحرة الكريمة كفلتها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية التي تواطأ عليها البشر على مر الدهور ، وأقرتها الأعراف والتقاليد المحلية للمجتمعات البشرية بلا استثناء. ولكن! لأن التاريخ ليس بمعادلات خطية ترسم بشكل مستقيم عادل ومنصف ، وإنما الطرف الأقوى دائماً يلعب الدور الأهم في رسمها بالشكل المنحنى الذي يتفق ومصالحه ، وما المبادئ والحقوق المشروعة إلا محض مرجعيات وشعارات واهية يتشدق بها ولا يؤخذ بها في كثير من الأحيان. لذلك فإن آلام الإنسان في الأرض ما زالت تتواصل ، رغماً عن كل الإنجازات الهائلة التي حققتها الإنسانية فيما يتعلق بحقوق الإنسان من خلال رحلة طويلة وشاقة ، خاضتها مواكب من الشهداء والمفكرين والعلماء ، توجت أخيراً بمفوضية ترعى حقوق الإنسان في الأمم المتحدة. ولكن السؤال الملح الذي ما فتئ يطرح نفسه على الناس كلما تمعنوا في ممارسات هذه المفوضية هل فعلاً هي محايدة وتعمل بمهنية عالية بعيداً عن ضغوط الدول العظمى؟ ، هذه الدول التي تصف نفسها بالعظمى وما هي بعظمى ، لأن العظمة والسمو بالأخلاقيات الرفيعة ، وليس بالمكر والخديعة ، وتدليس الأمور ، والوقوف مع الباطل ضد الحق في قضية يعلمون سلفاً أنهم هم الذين صنعوها ليتقوا بها شر الصهاينة الذين لا يتورعون عن نشر الفساد في أي أرض يحلون بها ، والعظمة كذلك ليست بالماديات وتكديس العتاد الحربي المدمر القادر على إفناء الكون في ثوان معدودات ، وإنما بتعمير الكون بالعدل والصلاح.

بعد تعرض اليهود خلال القرن الثامن عشر الميلادي للاضطهاد في أوروبا من قبل الأوربيين الذين كانوا ينظرون إليهم باحتقار وكراهية ، وبعد معاناتهم من المعاملة القاسية للأنظمة والقوانين التي كانت سائدة في أوروبا آنذاك ، والتي من جرائها حرموا بل وجردوا من إنسانيتهم ، جاء وعد بلفور الذي أدخل العالم في عقدة القضية الفلسطينية (من يدعي أنه مظلوماً صار بين عشية وضحاها ظالماً ، حيث بدلاً من أن يأخذ حقه ممن ظلمه ، استعان بالذي ظلمه على ظلم آخرين ، لا علاقة لهم بالظلم الذي أوقعه عليه عدوه السابق الذي أصبح الآن حليفه الجديد).

تجمع اليهود من كل أصقاع الدنيا في فلسطين ، وأنشئوا بمساعدة الأوربيين والأمريكان ما يعرف بدولة إسرائيل. ومنذ قيام هذا الكيان الصهيوني فهو يتفنن ويبدع في الإجرام والفساد والخبث والفجور ، ولذلك فإن فصول مآسي الفلسطينيين متواصلة ولن يكون آخرها العدوان على غزة في نهاية العام ٢٠٠٨م أو حصارها حصاراً حديدياً لم يشهد له التاريخ مثيل. نعم أرادوا لأهل غزة أن يعيشوا في قرون ما قبل التاريخ ، حيث كان الإنسان يخشى من قوى الطبيعة من برد وحر ، ومن قوى ضعفه الذاتي المتمثل في المرض والموت ، ومن قوى صراعه المميت مع أخيه الإنسان من أجل البقاء ، ولكن هل نجحوا في مسعاهم هذا ؟ في ظني أن المؤلف الذي بين يديك يحمل في ثناياه بعض الإجابات على هذا السؤال.

حياة أهل غزة حكاية طويلة مليئة بالأحزان ، والآلام ، والأشلاء ، والدماء ، والدمار. السجين في زنزانته الانفرادية له حقوق جوهرية تستوجب على سجانه أن يعامله بكل تقدير واحترام، بسبب الكرامة الإنسانية المتأصلة في شخصه، فما بالك بمجتمع إنساني يقترب تعداده

من مليوني شخص يتعرض للحصار كشكل من أشكال العقاب الجماعي الذي يحظره القانون الدولي، لأن حياة الإنسان في ظل هذا الحصار لا تستقيم أبداً، فيه تمتهن كرامته، وتستلب حقوقه على مرأى ومشهد من كل سكان العالم الذين يدعون المدنية، والحضارة، وقمة القيم الأخلاقية.

الفلاحون في غزة الذين لهم حقول متاخمة للحدود التي اصطنعها الكيان الصهيوني لا يستطيعون الذهاب إليها ، لأنهم إن فعلوا ذلك لن يعودوا منها سالمين ، لأن العدو الصهيوني بمكره ودهائه وخسته ، بعد أن اغتصب الأرض وجعلها بيتاً له ، تحجج بأسباب واهية اغتصب بها الأرض من حولها بأن جعلها حمى وحزام أمني لبيته ، وهو لا يعلم أن أي بيت مغتصب أوهن من بيت العنكبوت. هؤلاء الفلاحون انضموا لجيوش العاطلين في غزة ، يعيشون هم وأفراد عائلاتهم على خط حد الكفاف باعتمادهم على المساعدات القليلة التي تأتيهم من الخارج وهم يرون شجرهم وزرعهم يذبل أمام أعينهم ، وهم محرومون من الوصول إليه وهو محروم من لمسات حنانهم.

الصيادون في بحر غزة وعددهم سبعة وثلاثون ألف صياد ، يقتات من ورائهم خمسون ألف شخص لا يستطيعون الإبحار لأكثر من ثلاث أميال بحرية ، لأن الصهاينة بأجهزتهم الالكترونية المثبتة في عوامات المراقبة لهم بالمرصاد ، وكل من يتجاوز هذه الحدود فهو في عداد الهالكين. لم يعد الاغتصاب الصهيوني محصوراً في الأرض ، وإنما تعداه إلى البحر ، ولم لا والتاريخ يعيد نفسه ، وما قوم عاد منهم ببعيد والآية الكريمة تقول : (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون .) (فصلت:١٥).

المرضى ، والعجزة ، والمسنون ، والأطفال في غزة يعانون من نقص الرعاية الطبية والصحية ، والأطباء والأطقم الطبية يشاهدون مرضاهم يعانون ويئنون من الآلام ولا يستطيعون تقديم يد المساعدات لهم لأن الأدوية الأساسية غير متوفرة ، والتجهيزات المطلوبة لإجراء العمليات الجراحية معدومة ، كل هذه المعاناة الإنسانية بسبب هذا الحصار الجائر الظالم الذي لم يؤرخ لمثله حتى في ظل أبشع النظم الدكتاتورية ، وأكثرها وحشية وبربرية.

الموظفون ، والعمال ، وأصحاب المهن الحرة ، وطلاب الجامعات ، وتلاميذ المدارس في غزة يعانون نهاراً من عدم توفر وسائل النقل العام التي تقوم بنقلهم من بيوتهم إلى مقاصدهم المختلفة لقلتها ولعدم توفر الكميات الكافية من الوقود التي تحركها ، ولذلك فإن وقتهم مهدور ، وانضباطهم في مؤسساتهم المختلفة أمر بعيد المنال في ظل الحصار ، ويعانون ليلاً من انعدام الكهرباء ، لأن محطة توليد الكهرباء الوحيدة في غزة لا تعمل لفترات طويلة بسبب نقص الوقود الذي يأتيها من الكيان الصهيوني ، هذا الكيان العجيب الذي يتلكأ في إيصال الوقود إلى غزة ، ومن خلال حصاره البري والجوي والبحري لها يحرص على منع وصول قطرة وقود واحدة إليها ، وفي أيام البرد القارس القاسية لا مجال لأهل غزة للحصول على التدفئة الرخيصة النظيفة في ليالي الشتاء الطويلة. أصحاب المصانع ، والمزارع ، والفنادق ، المتاجر ، والمطاعم يلجئون إلى توليد الطاقة الكهربائية باستخدام مولدات صغيرة بديلة ، ولندرة الوقود وارتفاع أسعاره يحقق بعضهم أرباحاً طفيفة ، والغالبية العظمى منهم يوقفون نشاطهم وينتظرون الفرج من حلال

العقد رب العالمين. غزة بالليل تبدو كقرية صغيرة تعيش في عصر من العصور الماضية ، أضواؤها خافتة متناثرة مبعثرة ، وحركة سياراتها وأناسها محدودة ، بينما أضواء المستوطنات الإسرائيلية تبدو من بعيد متوهجةً كأنها ترفل في عرس دائم.

ما جرى ويجري الآن في غزة هز ضمائر أحرار العالم من كل الجنسيات ، ودفعهم بقوة لأن يتحركوا ويسيروا ما عرف بأساطيل الحرية لكسر الحصار عنها ، ولكنهم جوبهوا بصلف واستعلاء من هذا العدو الغاشم المستهتر بكل القيم الإنسانية فقتلوا شر قتلة ولم تنج كرامتهم الإنسانية هم كذلك من الانتهاك ، ما يجري في غزة من حصار وما جرى في أعالي البحار من تقتيل للأحرار ما هو إلا إفراز لعقدة العدو الإسرائيلي المتأصلة فيه ، وهي الخوف من الزوال أو هاجس الإبادة ، والتي سوف تظل تلاحقه ، وتجعله يتخبط كالمجنون في كل الاتجاهات.

هذا وصف مبسط للحياة في غزة ، نحن نعلم أنه وصف غير دقيق ، ويعطي صورة تقديرية تقريبية قد لا تكون بالمقاربة المنشودة لحقيقة الحياة في غزة ، لأنه لا يستطيع وصف الحقيقة إلا من فقد الأب ، أو الأم ، أو الأخ ، أو الأخت ، أو الولد ، أو البنت ، أو الأهل والأقارب ، أو من فقدهم جميعاً وبقي وحيداً يهيم على ظهر الأرض ، أو من ذاق طعم الحرمان بعد أن ضاع منه في غمضة عين كل ما يملك من حطام الدنيا.

كل حجر من حجارة ركام العمارات والبيوت المهدمة في غزة يحكي لنا وللعالم قصصاً أسطورية لأبطال شهداء ، ولبطلات شهيدات ، مضوا في موكب الكرامة والعزة ، متضمخين بالمسك والعنبر ، تاركين هذه الدنيا الفانية لشرار البشرية وحثالتها من شذاذ الآفاق الذين لا يدركون معنى الكرامة الإنسانية ، ولا يتذوقون طعم حلاوتها ، ويتشرنقون في منتهى الغباء والجهالة داخل عفونة زبالتها. كل البشر زائلون ، هل هناك بشري واحد ادعى الخلود ؟ هل هناك بشري واحد عثر على إكسير الحياة الذي يمنحه الشباب الدائم المتجدد ؟ إذاً لماذا كل هذا الغباء ؟ إنهم جميعاً ملاقون ربهم في يوم الحساب ، ولن تنفعهم ترهات حاخام ، ولا أباطيل قاتل أو سفاح أو دجال ، ويوم الميعاد هو يوم القيامة ، وأرض الميعاد هي أرض واحدة ، إما جنة نعيمها دائم أو نار عذابها سرمدي.

(٧)

مظاهر الجمال في غزة

رأيت بحر غزة من بعيد ، رأيته ونحن على متن الحافلات الصغيرة اليابانية الصنع التي كانت تقلنا من وقت لآخر في زياراتنا الميدانية للأماكن المهمة في مدينة غزة ، و للمخيمات ، وللمستوطنات المحررة ، وما يكاد بصري يذهب بعيداً فوق الماء حتى يرتد محسوراً ومكسوراً ، لأني أعلم أن بحر غزة مغتصب ومصادر من قبل العدو الإسرائيلي ببوارجه وسفنه الحربية التي تقف بالمرصاد على بعد ثلاثة أميال بحرية فقط من الميناء لتفتك بكل داخل إلى غزة أو خارج منها ، وما السفينة التركية لكسر الحصار على غزة وما حدث لركابها من تقتيل وتهشيم للعظام وضرب مبرح للأجسام عنّا ببعيد. في موسم الشتاء الفترة التي زرنا فيها غزة ، كنت أرى مياه بحرها زرقاء صافية تكدر صفوها بين الفينة والأخرى أمواج خفيفة موشاة من أطرافها بزبد البحر الأبيض كبياض لبن بقراتنا ومعزاتنا الحنونات ، كانت هذه المياه تندلق على رمال الشاطئ الذهبية اللون ، ثم تنحسر عنها في رفق بفعل المد والجزر كعاشقين يتعانقان ثم يفترقان ولا يطيقان آلام الفراق فيعودان للعناق مرةً أخرى ويستمران على هذا المنوال بلا كلل ولا ملل إلى أبد الآبدين رغماً عن أنوف شذاذ الآفاق من الصهاينة العنصريين المغتصبين. ورأيته من قريب ، كنت لا أمل رؤيته كلما جلست في الصباح الباكر عند الشرفة الزجاجية في فندف الكومودور الفخم التي

تطل مباشرةً على ميناء غزة للصيد البحري لتناول طعام الإفطار المكون من طبق الفول المصري المعتق بزيت الزيتون ومن بيض وجبن وزبد غزة. ميناء غزة البحري قطعة من البحر في شكل هلال يمتد من الشاطئ وحتى سد مرصوص من ركام أكوام الحجارة وأنقاض مباني الميناء التي دمرها العدو الإسرائيلي بالكامل ليشل حركته فتسهل عليه عملية خنق غزة اقتصادياً ، وليمهد بذلك لعمليات تكرار العدوان عليها متى ما أراد ، تلك الحجارة والأنقاض تبدو للناظر من بعيد كآثار قديمة لمدينة مهجورة غاص أسفلها تحت الماء وبقي أعلاها فوقه يقاوم عوامل الطبيعة ليبقى شاهداً يذكر الناس ببربرية الصهاينة ويذكرهم بأبيات من قصيدة شاعرنا الراحل شاعر القضية الفلسطينية محمود درويش (عابرون في كلام عابر) :

أيها المارون في الكلام العابر

أحملوا أسماءكم وانصرفوا

واسحبوا ساعاتكم من وقتنا وانصرفوا

وخذوا ما شئتم من زرقة البحر ورمل الذاكرة

وخذوا ما شئتم من صور كي تعرفوا

كيف يبني حجر من أرضنا سقف السماء

كنت أرى سفن الصيد راسيةً فوق المياه ، تشتاق إلى اليوم الذي تنال فيه حريتها لتنطلق في البحر العريض لتعود برزق الله ، رب السموات والأرض ، القائل في محكم تنزيله : (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حليةً تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (النحل:١٤). زوارق العدو الإسرائيلي الحربية تقف بالمرصاد على بعد ثلاثة أميال بحرية فقط تطلق النار على الصيادين فتقتل بعضهم ، وتأسر الآخر ، وتصادر معداتهم ، وتسرق شباك صيدهم ، وتضخ المياه الآسنة عليهم ، لأنها تريد أن تحصرهم داخل مساحة من البحر لا تصلح إلا للفرجة والسباحة. كنت أرى طيور النورس البيضاء وهي تحلق فوق مياه الشاطئ ، بعضها ينقض بمنقاره فيخطف خطفةً ثم يعاود التحليق ، والبعض الآخر يحط على الماء ويظل ساكناً هامداً فوق سطحه يتأرجح مع حركته تسبيحاً لله أحسن الخالقين غير آبه بكل ما يصنع بنو صهيون من حوله ، وغير آبه للأعداد الكبيرة التي نفقت منه بفعل آلة القتل والدمار التي يستخدمها العدو الإسرائيلي في همجية لا تميز بين إنسان ، وحيوان ، وطير أو حجر.

البحر في غزة له نكهة خاصة ، وتاريخ خاص ، ولون خاص ، ومذاق خاص ، وعمق خاص ومدلول خاص.

نكهة البحر في غزة مزيج من عبير ورياحين وعطور الحرية ، والتحدي ، والسمو ، والانعتاق ، والانطلاق. حشد العدو الإسرائيلي الزوارق والسفن الحربية والطرادات والبوارج لضرب حصار كامل على قطاع غزة من جهة البحر ، ومن وراء ذلك تعزيزات غير محدودة من قطع سفن الأسطول الأمريكي السادس ، ومع كل ذلك أهل غزة صامدون ، إنهم يدهشون ويذهلون العالم بهذا الصمود ، إنهم

يعلمون العالم كيف بالإيمان وبقليل من القوة يستطيع المظلوم أن ينتزع حقه من حلقوم الظالم ولو كان إبليس نفسه ، ومن حلاقيم من هم خلفه ومناصريه من شياطين الأرض ومردتها.

قرأت أسطراً خطها الزمن بمداد أبيض على صفحة مياه بحر غزة الزرقاء ، تقول هذه الأسطر أن مدينة غزة من أقدم مدن العالم التي اكتسبت أهميةً قصوى من الناحيتين الاستراتيجية والعسكرية نتيجةً لموقعها الجغرافي الفريد عند التقاء قارتي آسيا وأفريقيا ، ولذلك كانت مسرحاً للقتال للإمبراطوريات القديمة والحديثة ، الفرعونية والآشورية والفارسية واليونانية والرومانية والصليبية ومن أتى بعدها من قوى عظمى. كما وأن موقع مدينة غزة عند خط التقسيم المناخي على خط عرض ٣,٣١ درجة شمال خط الاستواء جعلها تحتل الموقع الحدي الفاصل بين الصحراء جنوباً ومناخ البحر الأبيض المتوسط شمالاً ، ومنحها ذلك أرضاً خصبة وسوقاً تجارياً نابضاً بالمنتجات الباردة والحارة. كان لغزة القديمة أربعة أبواب ، (باب البحر) نسبةً لمينائها غرباً ، (باب عقلان) شمالاً ، (باب الخليل) شرقاً ، و(باب دير الروم) جنوباً. وقد اعترى هذه المسميات الكثير من التغيير وفقاً لاختلاف وتبدل الزمن والإمبراطوريات. أطلق العرب الكنعانيون الذين أسسوها قرابة الألف الثالثة قبل الميلاد عليها اسم (غزة) ، وكما أطلق عليها العرب المعينيون الذين سكنوها قبل الميلاد نفس الاسم. أطلق عليها الفراعنة أيام تحتمس الثالث (١٤٤٧-١٥٠١) قبل الميلاد اسم (غزاتوه) ، وارتبط اسمها كذلك بالكنز الذي قيل أن (قنبيز) قد دفنه فيها أيام الفرس ، وأطلق عليها العرب اسم (غزة هاشم) حيث دفن فيها جد الرسول صلوات الله وسلامه عليه أثناء إحدى رحلاته قبل الإسلام ، ولذلك أطلق عليها خليل الظاهري لقب (دهليز الملك) ، ووصفها نابليون بأنها بوابة آسيا ومدخل أفريقيا.

لون مياه بحر غزة زرقاء عند البحر المفتوح ولكنها تميل إلى الخضرة كلما زاد اقترابها من الشاطئ ، ألوان مياه بحر غزة لها تركيبة خاصة لا يدرك سرها وسحرها إلا المختصون في علوم الألوان وعلوم البحار الذين ربما يعللونها بالخصائص الطبيعية والكيميائية للمياه أو لنوع الكائنات الحية التي تعيش فيها ، ولكن في نظري ، بغض النظر عما يقول أهل العلم ، يعود سر هذا اللون إلى الجمود والهدوء والسكون الظاهري الذي يلف مياه بحر غزة لندرة الحركة من فوقها ، أياً كان مصدرها الناس أو القوارب أو السفن الصغيرة والكبيرة أو المخلوقات البحرية ،ولهدوء التيارات البحرية تحت سطح الماء. خلق الله سبحانه وتعالى البحر للناس ليأكلوا منه لحماً طرياً ، ويستخرجوا من كنوزه اللؤلؤ والياقوت والمرجان والنفط ، وبعد أن يحلوا ماءه يشربوه ويرووا زرعهم ويسقوا أنعامهم ، ولذلك ظلت هناك علاقة أزلية تربط بين البحر والناس ، و مهما فعل العدو الإسرائيلي لن يستطيع أن يغير هذه العلاقة ، وسيظل بحر غزة متسربلاً بهذه الألوان الحزينة منتظراً تلك اللحظة التي يعود فيها كل شيء إلى نصابه ، وإلى وضعه الطبيعي الذي يتماشى مع الفطرة التي خلق الله عليها مخلوقاته في الأرض.

مذاق ماء البحر ملح أجاج ، إن جميع البحار تحتوي على الأملاح ولكن تتفاوت درجة الملوحة من بحر لآخر ، ويعتقد بعض العلماء أن سبب وجود الأملاح وجود كتل من الملح الصلب في قاع البحر ولكنهم ما زالوا في حيرة من أمر مصادر هذه الأملاح ، وطعم ماء بحر غزة من النواحي المعنوية أكثر ملوحةً من كل بحار الدنيا ، لأن غطرسة العدو الإسرائيلي جعلت ملوحة بحر غزة تزداد عن معدلها الطبيعي ، هذا العدو جعل الحياة داخل الأرض المحتلة مرة ، وجعل حياته هو نفسه مرة ، لأنه يعيش في حالة رعب ووهم دائمين ، جعلاه يمتلك

القنبلة النووية ، ويبني الحوائط الإسمنتية والخراسانية ، ويوجه جل طاقاته الفكرية والإنتاجية لهم الأمن والدفاع ، ومع كل ذلك ما حصونه بمانعته من أمر الله إذا جاء. وجعل حياة الناس الذين يعيشون من حوله مرة بالعدوان عليهم المرة تلو الأخرى ظناً منه أن حياته لا تستقيم إلا بزوال حياة الآخرين ، وأفسد مياه البحر بزرعها بالألغام البحرية ، وبتلويثها عمداً بمخلفات سفنه وطراداته وبوارجه وبالمواد الكيماوية.

أعماق بحر غزة ليست ككل أعماق البحار ، تغيرت فيها البيئة البحرية ، وأحاط الدمار بالشعب المرجانية بسبب الألغام البحرية المبعثرة في كل مكان ، والغواصات التي تعربد خلسةً تحت الماء ، ومحركات البوارج الحربية التي تعكر باستمرار صفو الماء ، لذلك ما عادت أسراب الأسماك تأتي إلي هنا في هجراتها الموسمية ، وما عادت الحياة البحرية تنمو نموها الطبيعي.

وبالرغم عن كل ذلك يظل البحر هو المتنفس الوحيد الذي بقي لأهل غزة في ظل الحصار خصوصاً في فصل الصيف ، فهنا يستطيعون أن يوفروا لأنفسهم حظاً من الترفيه والترويح متناسين ليلهم الطويل المليء بالهموم والأحزان. لم يستطع العدو الإسرائيلي بكل ما أوتي من قوة وجبروت أن يهد من عزيمة وهمة هذا الشعب الأبي المتفتح للحياة ، اكتظ ساحل غزة بالفنادق ، والمنتجعات ، والاستراحات ، والمقاهي ، والشاليهات. كورنيش البحر في طريقه لأن يتحول إلى تحفة بديعة من الفن والجمال ، وهيهات للعدو الإسرائيلي أن ينال أو يحقق ما يشتهي وما يتمنى وما يريد ، والفرج لأهل غزة بإذن الله آت.

حبا الله غزة بأربعة ألوان زاهية ، بحرها لونه أزرق لازوردي تشوبه خضرة يانعة ، رملها لونه أصفر ذهبي براق ، سماؤها لونه أزرق صافي موشى بالغمام الأبيض ، بساتينها وحقولها لونها أخضر تتخلله صفرة وحمرة ، ومع ضوء الشمس تتحول غزة بكاملها إلى قوس قزح ساحر أخاذ عجيب.

الخضرة في عرف وقاموس وقانون العدو الإسرائيلي محللة له ومحرمة على أهل غزة ، أنظروا إلى الأرض المحتلة كيف هي مخضرة ، ثم انظروا إلى قطاع غزة وإلى المحاولات المتكررة لهذا العدو المتغطرس في سعيه الدؤوب لتجريف الأرض ، وقلع الأشجار ، وتدمير المزارع بقذائف المدفعية الثقيلة وبالقنابل الفسفورية المشعة ، وغايته البشعة من كل ذلك هي حصار وتجويع أهل غزة ، لأنهم قالوا له: (اشرب ماء البحر أو انطح السماء برأسك ، ما تريده منا بعيد المنال ، وما نريده نحن بعون الله سيتحقق.)

كل الأعمال الإجرامية التي ظل يمارسها العدو الصهيوني لم تفت في عضد أهل غزة وإنما زادتهم إيماناً على إيمانهم ، وحضتهم وحفزتهم لتحقيق الإنجاز تلو الإنجاز. ومن جهة ثانية لم يؤثر على الإطلاق ضعف وشح الموارد الطبيعية ، من صغر حجم الأرض الصالحة للزراعة ، وملوحة المياه ، وقلة المخزون الجوفي من المياه العذبة ، تأثيراً سالباً على همة وعزيمة المشتغلين بالزراعة في غزة ، وإنما دفعهم كل ذلك لاستغلال هذه الموارد الشحيحة لأقصى حد ممكن باستخدام كافة الأساليب العلمية والتكنولوجية المتاحة. رأينا الخضرة في غزة داخل البساتين والحقول ، والميادين ، والحدائق ، والبيوت. أينما ذهبنا كنا نراها أمامنا وخلفنا وعن يميننا ويسارنا فتملأنا عجباً ، و ذلك ما جعلنا نتساءل ونلهث لمعرفة الحقيقة. قالوا لنا أن الزراعة في غزة مرت بأربع مراحل ، المرحلة الأولى (٤٨-١٩٦٧م) ، تميزت فيها بالتوجه نحو التركيز على المحصول الاستراتيجي الفلسطيني الأول وهو الحمضيات ، ثم من بعده إنتاج الخضروات ، ومن بعدهما إنتاج المحاصيل الحقلية والتي كانت تروى بمياه الأمطار وبالري من الآبار الجوفية ، المرحلة الثانية (٦٨-١٩٩٤م) ، وهي فترة الاحتلال الصهيوني ، حيث بدأ الاحتلال بتطبيق مجموعة من السياسات التي

هدفت إلى القضاء على الحمضيات كمحصول استراتيجي رئيس وذلك لكونه منافساً قوياً للمنتج الصهيوني في الأسواق ، وقد استخدم العدو الإسرائيلي ثلاث سياسات ، السياسة الحريرية بإغراء المزارعين بإحلال الحمضيات بالخضروات ، السياسة الحديدية بإصدار معايير جديدة لتصدير الحمضيات تجعل المنتج الفلسطيني غير صالح للتصدير إلا قليلاً ، وأخيراً السياسات غير المباشرة التي تمثلت في فتح باب العمالة داخل الكيان الصهيوني بأجور عالية مقارنة بدخل المزارع أو العامل الزراعي الفلسطيني ، وهو الأمر الذي دعا كثيراً منهم إلى هجر أراضيهم ، المرحلة الثالثة (٩٥-٢٠٠٦م) ، استمر فيها العمل بنفس السياسات السابقة مع تحكم الاحتلال في كافة المعابر والمنافذ بالقطاع ، بالإضافة إلى السيطرة على القطاع الزراعي الفلسطيني من خلال اتفاقية باريس التي أحكمت عليه السيطرة ومنعته حرية الانطلاق والحركة ، وجعلته يعتمد على جلب كل مستلزمات الإنتاج من الاحتلال علاوة على التدهور الحاد في الموارد سواءً المياه أو التربة التي أرهقت بفعل استخدام الأسمدة الكيماوية والمبيدات والمعقمات ، المرحلة الرابعة (٢٠٠٦- حتى الآن) ، سميت بمرحلة إعادة هيكلة القطاع الزراعي بإعادة توجيهه لخدمة المزارع والمواطن والعامل والمياه ودورة رأس المال ،وعلاوةً على كل ذلك تعزيز الصمود من خلال بلورة ما يعرف بالاقتصاد الزراعي المقاوم.

رأيت في غزة محطة صناعة الكمبوست (السماد العضوي) ، الذي ينتج من مخلفات زراعية وحيوانية وبأجهزة تم تصنيعها محلياً في غزة ، وذلك كله في إطار تغيير نمط الزراعة في غزة من الزراعة الكيماوية إلى الزراعة العضوية التي تعتمد على الأسمدة الطبيعية ، وبذلك يكون في الإمكان تخفيف الطلب على السماد الكيماوي الذي يجلب من الاحتلال أو من مصر ، وفي ذات الوقت محاربته كواحد من

أهم أسباب تفشي مرض السرطان وسط الفلسطينيين. رأيت مشاتل النخيل (بيروحاء النخيل) ، تلك الشجرة المباركة التي تعتبر من أقوى المضادات الزراعية لسياسة التجويع التي يتبعها العدو الإسرائيلي ، وذلك بمساهمتها في سد الفجوة الغذائية وبتحسينها لمستوى معيشة المزارعين وتحسين دخولهم ، بالإضافة إلى فوائدها البيئية والاقتصادية ، فالنخيل شجرة تساهم في حل بعض مشاكل الأراضي المالحة بتحملها الكبير للمياه المالحة والمعالجة أيضاً ، وهو يعتبر كذلك من النباتات الاقتصادية لديمومة إنتاجها لسنوات طويلة ، وللانتفاع من كل أجزائها ومخلفاتها في الصناعات الحرفية ، وإنتاج الأعلاف ، وفي إنتاج أكثر من ثلاثة وعشرين منتج صناعي. رأيت مشاتل الزيتون التي تضم أكثر من مليون شتلة فتفكرت في آيات الله في الأرض وأعدت التدبر في الآية الكريمة :

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ {١٠} يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:١٠-١١)

وأهل غزة يعتبرون الزيتون شجرة مباركةً متعددة المنافع ، فهو سهل الرعاية ، ويحتاج للقليل من المياه ، والقليل من مستلزمات الإنتاج ، ويمكن تخزينه لفترة طويلة ، ويتحمل درجة عالية من ملوحة المياه. رأيت شتلات اللوزيات من مشمش وبرقوق ، وشتلات العنب ، رأيت مشتل النباتات الطبية والعطرية التي لا تستهلك المياه والأسمدة ، تجولت بين أشجار الفاكهة والحمضيات ، وأكلت من الخضروات المنتجة في البيوت المحمية.

زرت المكان الذي يجري فيه صنع القنبلة النووية البحرية الفلسطينية التي تخيف العدو الإسرائيلي وتجعل فرائصه ترتعد وتجعله يجري كالمخبول في كل اتجاه ، زرت مكان الرد العملي لأهل غزة

على الحصار البحري الصهيوني لهم ، إنه مشروع الاستزراع السمكي ، حيث المفرخ الخاص لتفريخ أسماك البلطي الأحمر ، والبلطي النيلي الأسود ، الذي ينتج في الموسم الواحد أكثر من نصف مليون بذر سمك متأقلمة على مياه غزة المالحة ، ويجري توزيعها بانتظام على المزارعين من مربي الأسماك في القطاع ، لسان حال المشروع يرسل رسالة بليغة لبني صهيون فحواها : (تركنا لكم البحر وما فيه من سمك ، أشبعوا فيه).

كل هذه الطفرة الزراعية حدثت في غزة لوجود تناغم منقطع النظير بين امتلاك أهل غزة للمعرفة التكنولوجية والفنية والعلمية ، وتطبيقهم لها على أرض الواقع من خلال المشروعات النموذجية ، وبرامج تدريب وإرشاد المزارعين التي هدفت إلى تحويلهم إلى مزارعين مقاومين يعلمون جيداً الإجابات على الأسئلة المحورية ، ماذا يزرعون ؟ ولماذا يزرعون ؟ ولمن يزرعون ؟ وكيف يزرعون؟

كلمات قائد المسيرة في غزة الدكتور إسماعيل هنية في افتتاحيته استراتيجية التنمية الزراعية المستدامة في غزة توضح لنا جوهر الاقتصاد المقاوم كما استنبطه أهل غزة من رحم الظلم والطغيان الصهيوني : (وما أجمل أن تكون الزراعة ثقافةً وفكرا ، تقرأ الواقع والممكن ، وتحلل الماضي ، وتسترشد بالمستقبل ، وتستثمر ما توفر من أرض قليلة وماء قليل لتحقيق الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي ، وتقاوم سياسة التبعية الزراعية والاقتصادية للمحتل ، وتقيم سياسة وطنية جوهرها الاقتصاد المقاوم والمزارع المقاوم).

(٩)

التعليم والعدوان و الحصار

كثير من الحقائق والإحصاءات الواردة في ثنايا الأبواب التالية استقيتها من تقارير المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان ، وهو مركز مستقل لا يستهدف الربح ، مقره مدينة غزة ، تأسس في أبريل ١٩٩٥م من قبل مجموعة من المحامين والناشطين المهتمين بحقوق الإنسان في قطاع غزة ، ويعمل المركز على حماية واحترام حقوق الإنسان ، ودعم سيادة القانون ، وتنمية مؤسسات ديمقراطية ومجتمع مدني في فلسطين طبقاً للمعايير والممارسات المقبولة دولياً ، كما يعمل على مساندة حقوق الشعب الفلسطيني التي يقرها القانون الدولي.

قبل العدوان الصهيوني على قطاع غزة بلغ عدد المدارس في القطاع ٦٢١ مدرسة ، منها ٤٩٨ أساسية و١٣٢ ثانوية ، كما وبلغ عدد الطلاب ٤٠٦,٩٨١ طالبا ، وعدد المعلمين ١٦٩٢٤ معلماً ، أما عدد الجامعات فبلغ خمس جامعات ، منها أربعة جامعات تقليدية ، وجامعة مفتوحة لها عدة أفرع في القطاع ، وهناك كليات جامعية ، وكليات مجتمع تمنح شهادات الدبلوم ،وبلغ عدد الطلاب في مجمل هذه المؤسسات الجامعية نحو ٦٥٠٠٠ طالبا.

أثر عدوان العدو الإسرائيلي بشكل مباشر على العملية التعليمية في القطاع ، حيث تعرضت المراكز والمؤسسات التعليمية إلى استهداف عسكري مباشر. تعرضت كل رياض الأطفال التي بلغ عددها ٦٩ روضة إلى القصف المباشر وغير المباشر ، ٧ رياض دمرت تماماً و٦٢ روضة تعرضت لتدمير جزئي. أما المدارس فمنها ٨ مدارس استهدفت بشكل كامل ، و٢١٨ مدرسة تضررت بسبب استهداف منازل

أو مواقع قريبة منها ، و٥٠ مدرسة تم تحويلها إلى مراكز إيواء لنحو ٥٠,٠٠٠ نازحاً من الذين دمرت مساكنهم بالكامل. من بين شهداء القصف الصهيوني الذين بلغ عددهم نحو ١٣٠٠ شهيداً ، ١٢ تلميذاً ، و٧ طلاباً جامعيين ، و١٣ معلماً ، ومن بين المصابين الذين بلغ عددهم ٥٣٠٠ مصاباً ٢٢٠ تلميذاً.

استهداف جامعات غزة كان عملاً ممنهجاً ، أغارت طائرات العدو على الجامعة الإسلامية مما أدى إلى إحداث دمار كبير وخسائر في المباني والمرافق والمختبرات والأجهزة العلمية قدرت تكلفتها بنحو ١٣,٢٣٦,٨٠٠ دولارا. وتعرضت الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية والمهنية لأضرار فادحة ، حيث طال الدمار المباني والمرافق والقاعات والمختبرات والمكاتب الإدارية ، وبعض الطوابق تم تدميرها بالكامل ، والتقديرات الأولية للأضرار وصلت إلى نحو ٦٥٠٠٠٠ دولارا. استهدفت جامعة فلسطين بالقذائف الصاروخية ، مما أدى إلى تحطيم مبنى إدارة الجامعة بشكل كامل وعدد كبير من القاعات ، وقدرت الأضرار بحوالي ٢٥٠,٠٠٠ دولارا. تعرضت غالبية منشآت جامعة القدس المفتوحة بقطاع غزة من قاعات دراسية ومختبرات علمية ومكاتب إدارية لأضرار كبيرة ، بحيث أصبحت خرابات لا تصلح للاستعمال. وبعد عام واحد من اكتمال مبان كلية دار الدعوة والعلوم الإسلامية قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي باستهداف مقرها بالطائرات الحربية حيث دمرت جميع مبانيه بالكامل ولم تبق منه سوى مئذنة مسجد الكلية لتكون شاهداً على بشاعة جرائم هذا العدو الصهيوني وعلى استهدافه للبشر والشجر والحجر بدون تمييز ، وعلى محاولاته اليائسة لطمس هوية الشعب الفلسطيني.

لم يستثني العدوان الصهيوني مباني ومكاتب المؤسسات التعليمية ، فقد قصفت طائراته مبنى مجمع الوزارات الذي يضم مبنى مكاتب وزارة التربية والتعليم العالي في محافظة غزة ، وكذلك مباني فرع الوزارة في محافظة شمال غزة.

ما زال قطاع التعليم في غزة يعاني أزمة فعلية من جراء عدم القدرة على بناء مدارس جديدة تواكب التطور الطبيعي في زيادة عدد الطلاب ، أو بسبب عدم القدرة على ترميم المدارس التي تضررت خلال العدوان ، ومن ضمنها توقف مشروع وكالة الغوث لبناء مائة مدرسة لعامه الخامس بسبب عدم توفر مواد البناء بالرغم من اكتمال التصاميم وتخصيص قطع الأراضي. وقد أدى ذلك إلى انعدام البيئة المناسبة لعملية التعلم ، حيث نجم عن عدم القدرة على بناء مدارس جديدة ارتفاع معدلات الكثافة الصفية ، مما دفع بعض المدارس إلى العمل بنظام الفترتين أو الثلاث وكانت محصلة كل ذلك هي التأثير سلبًا على قدرة التلاميذ على التحصيل والفهم. ما يزال الحصار وإغلاق المعابر يحرم الآلاف من طالبات وطلاب القطاع من فرص التعليم في جامعات الضفة الغربية في التخصصات التي يفضلونها والتي تعتبر حيوية وضرورية لسكان القطاع ، خصوصاً في العلوم الطبية والهندسية الحديثة ، وبذلك أصبحت جامعات الضفة تخلو من الطلاب من قطاع غزة الذين كانت تصل نسبتهم إلى ربع العدد الكلي للطلاب المسجلين ، والجدير بالذكر أن قوات الاحتلال تقوم بتعقب العدد المحدود منهم الذين نجحوا في الوصول إلى الضفة الغربية وتقوم بإعادتهم إلى القطاع. ترك الحصار الشامل المفروض على القطاع منذ ٥ سنوات نتائج سلبية على قطاع التعليم وقد حال إغلاق المعابر وحظر استيراد

مواد البناء والمعدات والأجهزة التي يحتاجها قطاع التربية والتعليم دون التطور الطبيعي للمؤسسات التعليمية والتربوية والجامعية. جامعات القطاع لا تمنح درجة الدكتوراه في بعض التخصصات بينما توجد بعض البرامج المحدودة التي تمنح درجة الماجستير ، وتعاني جامعات القطاع من نقص في الخبرات لأن السلطات الصهيونية كانت تمنع دخول الخبراء الأكاديميين للعمل في جامعات القطاع ، كما وتحرم الأكاديميين من قطاع غزة من السفر للخارج سواء للتأهيل أو التدريب أو المشاركة في المؤتمرات العلمية ، وقد أدى عدم وجود معلومات وخبرات جديدة إلى تدهور ملحوظ في النظام التعليمي بأكمله في غزة. ويمثل حرمان الطلاب الفلسطينيين من حقهم في التعليم العالي انتهاكاً سافراً لمبادئ حقوق الإنسان التي كفلتها الشرعية الدولية بأنه لكل شخص حق في التعليم وأن يكون التعليم العالي متاحاً للجميع تبعاً لما يملكون من كفاءات.

يعتمد نحو ٨٠ % من سكان غزة على المساعدات ، كما وتعاني مؤسسات التعليم العالي في غزة من ضغوط مالية ، ووفقاً لمنظمة اليونسكو لا يتمكن عدد متزايد من الطلاب من سداد الرسوم الدراسية مما أدى إلى انقطاعهم عن الدراسة أو تأجيلها ، وقد أثر عجز الطلاب هذا بشكل كبير على الجامعات في غزة إذ توفر الرسوم الدراسية التي يدفعها الطلاب نحو ٦٠ % من تكاليف تشغيل الجامعات. أعاق الحصار الإسرائيلي استيراد الكتب وأجهزة المختبرات والمعدات التعليمية الأخرى ، ولا تسمح سلطات الاحتلال سوى بدخول إمدادات إنسانية محدودة ، وفي هذا الشأن أوردت اليونسكو في تقرير صادر عنها أن مستويات الالتحاق بأربعة عشر جامعة وكلية عامة وخاصة

في قطاع غزة لا تزال مرتفعة ولكن الصراع والحصار الصارم قوضا بشكل كبير إمكانية الوصول إليها وتحقيق جودة التعليم العالي فيها.

ونتيجة لكل السياسات السابقة والحالية التي يتبعها العدو الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين بشكل عام وقطاع غزة على وجه الخصوص فإن كثيراً من الخبراء والمختصين أبدوا مخاوفهم من أن يصبح الجيل المقبل في قطاع غزة أقل تعليماً ومهنية ، وربما أكثر تطرفاً بعد أن قلص الحصار الصهيوني فرص التعليم والعمل في وجهه.

(١٠)

الصحة والعدوان و الحصار

تعرضت مؤسسات القطاع الصحي في غزة التي بلغ عددها ٩٠ مؤسسة عاملة ، والتي تشتمل على المستشفيات ، والعيادات ، ومراكز الرعاية الصحية الأولية الحكومية ، والخدمات الطبية العسكرية ، ومؤسسات القطاع الخاص العاملة في المجال الصحي ، ومؤسسات وكالة الغوث الدولية إلى استهداف العدو الصهيوني. بلغت تقديرات تكلفة الخسائر المادية فيها ٢٦,٤١٦,٧٠١ دولاراً (باستثناء خسائر وكالة الغوث). الخسائر التي لحقت بقطاع الصحة الحكومي تمثلت في تضرر ٩ مستشفيات ، و ٣٣ مركزاً للرعاية الصحية الأولية ، بالإضافة إلى ١٩ سيارة إسعاف. الخسائر التي لحقت بقطاع الخدمات الطبية العسكرية شملت تضرر ٣ مستشفيات وعيادات ، وتضرر ٥ سيارات إسعاف. الخسائر والأضرار الجزئية أو الكلية في القطاع الصحي الأهلي والخاص طالت ٤ مستشفيات ، و ١٠ مراكز صحية ، وعيادة خاصة واحدة ، و٤ سيارات إسعاف ، و٩ صيدليات ، و ٣ مراكز بصريات. لم تسلم المؤسسات الصحية لوكالة الغوث الدولية من العدوان الصهيوني، حيث تضررت ٧ مراكز صحية، بالإضافة إلى أضرار جسيمة لحقت بالمقر الرئيس للوكالة بما يحتويه من مستلزمات طبية و وسائط طبية، واستهدفت ٣ مركبات طبية استهدافاً مباشرا.

نتيجةً لهذا العدوان الصهيوني البشع شارفت الخدمات الصحية في غزة المنهكة والهشة أصلاً على الانهيار ، ولقد عمدت منظمة الصحة العالمية وقتها إلى تحسين الأوضاع على الفور من أجل تمكين السكان

المحليين من الحصول على الخدمات الصحية الإنسانية ، ولكن سياسة العدو كانت من لا يموت بقذيفة أو صاروخ فليمت بعدم الدواء والعناية الطبية ، لذلك تعذر وصول الإمدادات الطبية المنقذة للحياة إلى من يحتاجونها لأن هذه الإمدادات كانت تتراكم على حدود غزة ، ومن المتعذر دخول ما يكفي من الشاحنات إلى غزة نظراً للعراقيل والعقبات الناجمة عن انعدام الأمن والبني التحتية. كما إن شدة القصف الجوي والأعمال العدائية البرية (مع تقسيم غزة إلى قطاعات متمايزة قُيدت فيها كل حركة) حدت بشكل خطير من حركة المرضى والمصابين ، وخدمات الطوارئ الطبية ، وعمليات الإحالة إلى العلاج ، وحركة الأطقم الطبية التي تلعب دوراً حاسماً ومهماً في تقديم هذه الخدمات بشكل فعال وبكفاءة عالية. وكانت هناك عقبات حالت دون إخلاء بعض ذوي الإصابات الخطيرة ، وإجلائهم خارج غزة لا بسبب انعدام الأمن فحسب ، بل أيضاً بسبب غلق الحدود وفرض القيود على الحركة. لم يعد لمستشفيات القطاع طاقة على مواجهة ذلك الوضع المأساوي فهي لا تمتلك ما يكفي من الأسّرة في عنابر الطوارئ أو وحدات العناية المكثفة ، ولا غرفاً للعمليات قادرة على مواجهة عدد المصابين ، كما نفدت طاقة الترتيبات المرتجلة في ذلك الوقت لتحويل أسرة المستشفيات الأخرى إلى أسرة يرقد عليها المصابون أو إلى أسّرة لخدمات العناية المكثفة ، بل كان المصابون إصابات خطيرة يرقدون على الأرض في المرافق الصحية. العاملون في الحقل الصحي كانوا منهكين بدرجة عالية ، حيث ظلوا يعملون في حالات الطوارئ ومع فرق رعاية المصابين وهم واقفين على مدار الساعة منذ الساعات الأولى لبداية القصف الجوي ، ولا يوجد من يحل محلهم حتى يستمر توفير الخدمات المنقذة لحياة للمصابين إصابات بالغة. ظل انقطاع التيار الكهربائي المتكرر يمثل خطراً دائماً على كل المستشفيات الأمر

الذي جعلها تعتمد على مولّدات توليد الكهرباء التي استمر بعضها يعمل لفترات طويلة مما أدى إلى تعريض المخزون من الوقود للنفاد. كان العدو الصهيوني يسعى لأن يحدث انقطاع كامل للطاقة الكهربائية في قطاع غزة لأنه يعلم أن نتيجة ذلك هو فناء أهل غزة لأنهم حتماً سيموتون بفعل سهولة انتقال عدوى الأمراض الوبائية الفتاكة بينهم ، وبفعل عدم قدرتهم على نقل وحفظ الدم وتعقيم الأدوات الطبية ، وبفعل عدم قدرتهم على توفير وسائل النظافة والإصحاح البيئي الأساسية في المستشفيات وفي قاعات العمليات ووحدات العناية المكثفة ، وبفعل تسمم جروح المصابين بالغرغرينا والتيتانوس. و سيكفيه ذلك مئونة الدخول في حروب مستقبليه تكبده خسائر بشرية أو مادية لأنه لن يجد من يقاتله بعد إبادته لأهل غزة جميعاً.

وحسب إفادات الأونروا فإن عدد المهجرين من جراء ذلك العدوان قد فاق ١٣,٠٠٠ نسمة ، وأن خدمات الدعم في مجالات الرعاية الصحية والمياه النقية والأغذية وإصحاح البيئة والنظافة المقدمة لهم إما إنها معدومة أو محدودة للغاية. وقد عرض ذلك حياة السكان المهجرين وعامة السكان لمخاطر جسيمة خصوصاً تفشي الأمراض الوبائية مثل الأمراض التنفسية الحادة ، والحصبة ، والإسهال المائي الحاد ، وجميع هذه الأمراض يمكن أن تؤدي بحياة أعداد كبيرة من الأطفال.

تواصل تدهور الخدمات الصحية في غزة ، وما زال السكان المدنيون يعانون من الانتهاك المتواصل لحقهم بالتمتع بأفضل مستوى من الرعاية الصحية الشاملة بسبب الحصار المفروض عليهم. يعاني قطاع غزة من أزمة نقص الأدوية ، والمستلزمات والمهمات الطبية ، وقد بلغ عدد الأصناف التي نفدت من الأدوية الأساسية خلال شهر مايو للعام ٢٠١٠م وشهري يونيو وفبراير للعام و٢٠١١م ١١٠ و١٤٧

و١٧٨ صنفاً على التوالي. ما زال العدو الإسرائيلي يمنع المرضى المحولين إلى الخارج من الدخول غبر المعابر بغية الوصول إلى مستشفيات الضفة الغربية أو الإسرائيلية أو الأردنية. المرضى المحولون للخارج كانوا يتعرضون للاعتقال والابتزاز من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي حيث يتم استدعاؤهم بحجة الإجراءات الأمنية ويتعرضون من جراء ذلك للمعاملة القاسية والمهينة ، ولذلك فإن مئات المرضى فضلوا البقاء داخل القطاع مما أدى إلى وفاة الكثيرين منهم.

ولقد كفتنا بعثة أطباء بلا حدود مشقة البحث عن المعلومات والبيانات الموثقة لوصف حاضر الخدمات الصحية في قطاع غزة في ظل الحصار الصهيوني المفروض منذ عدة سنوات بأن أوجزته لنا في عدة نقاط. أثر الحصار الصهيوني بشكل سلبي على القطاع الصحي وعلى تقديم الخدمات الطبية للمرضى والجرحى في غزة ، وكانت له ولإغلاق المعابر تداعيات خطيرة على القطاع الصحي والخدمات الطبية المقدمة للمواطنين نتيجة نقص المواد الطبية والأدوية والوقود ، ورغم فتح نقاط العبور والسماح بدخول المساعدات التي أرسلتها مختلف المنظمات الدولية غير الحكومية إلا أن أوضاع الخدمات الصحية لا زالت هشة داخل القطاع ، وأن مليون ونصف مليون فلسطيني في القطاع لا يزالون محرومين من حقوقهم الطبية بسبب الحصار حيث يتعرضون لعقاب جماعي بما في ذلك الأطفال حديثي الولادة ، ويعاني القطاع الصحي من نقص شديد في الأدوية والمستلزمات الطبية اللازمة للمرضى والمرافق الصحية منذ فرض الحصار عليه. ولاحظت بعثة أطباء بلا حدود وجود صعوبة بالغة في وصول المواد الطبية للمستشفيات والمراكز الصحية ، وكذلك في

خروج المرضى الذين يحتاجون للعلاج في الخارج ، وأن بعثتهم بذلت جهوداً كبيرة لأجل تحويل بعض الحالات المرضية إلى مستشفى تابعة لهم في عمان إلا أنهم لم يتمكنوا من تحويل أي حالة بسبب رفض سلطات العدو الإسرائيلي ، وأن هناك ١٢٠٠ حالة مرضية طلبت الحصول على موافقة للخروج من غزة لتلقي العلاج في الخارج إلا أن ٢٥ % منهم منعوا من الخروج رغم حاجتهم للعلاج ، بالإضافة إلا ٥٠ حالة مرضية لا زالت تنتظر السماح لها بالخروج من القطاع للحصول على أطراف صناعية.

(١١)

الاقتصاد والعدوان والحصار

كل الادعاءات السابقة التي سربتها سلطات الاحتلال بشأن تخفيف الحصار بمنح التسهيلات وتقليص القيود المفروضة على دخول السلع المختلفة إلى القطاع كانت ادعاءات كاذبة ، الغرض منها امتصاص غضب الرأي العام العالمي الذي بدأ يتكون ضدها ، حيث لم تشهد الثلاث سنوات الأخيرة ٢٠١٠/٢٠١١/٢٠١٢م تغييراً جوهرياً فعلياً في حركة البضائع والأفراد عبر المعابر ، والكميات التي سمح بدخولها كانت مواد غذائية وسلعاً استهلاكية ، وما زالت سلطات العدو تمنع دخول السلع الأساسية والمواد الخام والمعدات الصناعية وماكينات وخطوط الإنتاج ، كما ولا تزال تفرض حظراً شاملاً على تصدير كافة أنواع المنتجات المصنعة في قطاع غزة ، واستثنت من ذلك كميات محدودة جداً من الزهور والتوت الأرضي. أدت سياسات الاحتلال الإسرائيلي إلى استمرار تدهور الأوضاع الإنسانية ، وهضم حقوق السكان الاقتصادية والاجتماعية بفعل التأثيرات الخطيرة الطويلة الأجل لهذه السياسات التي نجحت في تقويض أية فرصة عملية لإنعاش اقتصاد القطاع وإعادة تشغيل القطاعات الاقتصادية فيه. وقد أدت سياسة الحصار الممنهج إلى انتهاك حقوق سكان قطاع غزة في الحصول على المستوى المعيشي الملائم ، والمأوى الملائم ، والعمل والضمان الاجتماعي ، والصحة والتعليم ، وانعدام الأمن الغذائي ، حيث يعاني أكثر من ٧١ % من سكان القطاع من سوء التغذية وفقر الدم ، ويعاني الأطفال بالإضافة إلى كل ذلك من توقف النمو أو تأخره.

تعتبر ٩٠ % من مياه الشرب في غزة ملوثة ولا تصلح للشرب وفقاً لمعايير منظمة الصحة العالمية ، وتبلغ نسبة الأسر التي لا تستطيع أن تحصل على المياه لمدة يوم أو ثلاثة أيام في الأسبوع ٣٩ % ، ونسبة الأسر التي لديها طفل واحد على الأقل تحت سن ٥ سنوات يعاني من أمراض ناجمة عن سوء المياه وسوء خدمات الصرف الصحي ٢٠ % من إجمالي الأسر في القطاع.

يعتمد سكان القطاع في تغطية احتياجاتهم من الوقود على الكميات الواردة عبر الأنفاق من مصر ، وذلك بسبب تقنين سلطات الاحتلال لكميات الوقود التي تسمح بتوريدها إلى القطاع. كما وتكررت أزمة غاز الطهي في القطاع عدة مرات ، وبدأت بالتفاقم بعد أن أغلقت سلطات الاحتلال معبر ناحل عوز المخصص لتوريد الوقود للقطاع ، وحولت توريده عبر معبر آرم أبو سالم غير المجهز فنياً لإمداد القطاع بالكميات الكافية من غاز الطهي.

منعت سلطات الاحتلال إعادة إعمار غزة ، إذ ما تزال هذه العمليات متوقفة رغم مرور أكثر من ثلاث أعوام على العدوان المدمر ، بسبب الحظر المفروض على دخول المواد الأساسية إلى قطاع غزة خصوصاً مواد البناء. وما زالت سلطات الاحتلال مستمرة في حظر دخول مواد البناء على الرغم من إعلانها في يونيو ٢٠١٠م أنها ستسمح بدخول كميات محدودة من مواد البناء لصالح المشروعات التي تشرف عليها المنظمات الدولية ، غير أن الكميات التي سمح بدخولها من الإسمنت والحديد لا تلبي الحد الأدنى من الكميات المطلوبة ، إذ بلغت نسبة الإسمنت ٧,٥ % من الكميات اللازمة لإعادة الإعمار ، ومادة الحصمة ٩,٩ % ، وحديد البناء ١٧,٧ %. وبسبب حظر دخول مواد البناء توقف النشاط العمراني في قطاع غزة وتحديداً قطاع الإسكان ، وتقدر حاجة هذا القطاع لأكثر من ٦٠ ألف وحدة سكنية

لمقابلة النمو السكني الطبيعي ولإيواء أصحاب البيوت التي دمرها العدوان. كما وتعيق سلطات الاحتلال إعادة تأهيل الطرق بمنع دخول المواد الأساسية ، خصوصاً مادة القار وبلاط الأرصفة والمعدات والآلات الثقيلة. علاوةً على ذلك أدى الحصار إلى انخفاض عدد شركات المقاولات العاملة في قطاع غزة من ١٢٠ شركة إلى خمس شركات فقط ، مما تسبب في تسريح أكثر من ٤٢,٠٠٠ عاملاً كانوا يعملون في هذا القطاع بسبب حظر توريد مواد البناء ، وعاودت في الفترة الأخيرة بعض هذه الشركات عملها بشكل جزئي واقتصر ذلك على المشروعات التي تنفذها المنظمات الدولية والمشروعات المحدودة التي يتم تنفيذها عن طريق جلب مواد البناء لها عبر الأنفاق مع مصر.

أدى الحصار إلى تردي الأوضاع الاقتصادية في القطاع ، ولذلك ارتفعت نسبة العائلات الفلسطينية التي تعيش تحت خط الفقر إلى ٣٨ % ، وزادت معدلات البطالة الناجمة عن الشلل شبه التام في كافة القطاعات الاقتصادية إلى ٤٥,٢ % بين القوى البشرية العاملة في القطاع. كما أدى استمرار الحصار وفرض القيود على دخول المواد الخام اللازمة للإنتاج إلى تدمير ٧٣ % من المنشآت الاقتصادية المختلفة التي كانت تعاني أصلاً من آثار إغلاق المعابر التجارية.

تعرض قطاع الصناعات الخشبية والأثاث إلى انتكاسة فعلية بسبب حظر تصدير منتجاته من الأثاث والموبيليات منذ ٢٠٠٧م ، وأدى ذلك إلى توقف أو تقليص العمل في ٦٠٠ منشأة صناعية من مصنع إلى ورشة نجارة يعمل فيها نحو ٦٦٠٠ عاملاً ، ويمثل هذا القطاع أكبر الصناعات التصديرية في قطاع غزة حيث يصدر نحو ٥٠ % من إجمالي صادرات القطاع بقيمة إجمالية تصل إلى ٣٠٠ مليون دولار سنوياً.

نتيجة للحصار تبلغ الخسائر في القطاع الزراعي جراء منع المزارعين من تصدير منتجاتهم نحو ١٢٠ مليون دولار سنوياً ، ويعمل في هذا القطاع نحو ٤٥,٠٠٠ عاملاً دائم إضافة إلى ٢٥,٠٠٠ عاملاً موسميا .

عانى قطاع الخياطة من الحصار المستمر وإغلاق المعابر التجارية ، حيث أدى إلى إغلاق أو تقليص العمل في ٦٢٥ مصنعاً لأعمال الخياطة يعمل فيها نحو ٢٥,٠٠٠ عاملاً ، وكانت هذه المصانع تعتمد في إنتاجها على تصدير نحو ٩٠ % من إنتاجها لأسواق العدو الإسرائيلي.

عانى قطاع الصناعات المعدنية بسبب منع توريد كافة أنواع المعادن ، مما أدى إلى توقف أو تقليص العمل في معظم المنشآت العاملة في هذا المجال ، والعامل منها يعتمد على المواد المهربة عبر الأنفاق من مصر ، ونتيجةً لذلك انضم نحو ٦,٠٠٠ عاملاً إلى صفوف العاطلين عن العمل.

نتيجة لهذا الحصار فإن سكان قطاع غزة محرومون من حقهم في حرية الحركة ، ويعانون من جراء القيود المفروضة على تنقلاتهم عبر جميع المنافذ التي تصل قطاع غزة بالعالم الخارجي ، معبر بيت حانون (ايريز) مغلق أمام المواطنين الفلسطينيين الراغبين بالتوجه إلى الضفة الغربية أو الأرض المحتلة إغلاقاً آلياً وبذلك منع أهل غزة من الوصول إلى بيت المقدس لأداء شعائرهم الدينية أو زيارة أقربائهم أو زيارة المعتقلين من أبنائهم في سجون العدو الإسرائيلي ، ومنع الطلاب والطالبات من الالتحاق بجامعات الضفة الغربية. يعاني سكان القطاع الراغبين في السفر للخارج عبر معبر رفح لأن عليهم التسجيل وحجز موعد مسبق للسفر نتيجةً للعدد المحدود المسموح بسفره يومياً. أدى

الاعتماد على معبر آرم أبو سالم غير الملائم للأغراض التجارية كمعبر رئيس لقطاع غزة إلى زيادة معاناة السكان لعدم وجود التجهيزات اللازمة لنقل البضائع ، ولسعته المحدودة والتي لا تكفي لتلبية احتياجات القطاع من الواردات ، حيث كانت تصل القطاع نحو ٥٧٠ شاحنة يومياً تقلصت إلى نحو ١٢٩ شاحنة يومياً فقط. عرقلت سلطات الاحتلال في بداية العام الرابع للحصار العمل في معبر المنطار الذي كان يعتبر أكبر المعابر التجارية للقطاع وأفضلها تجهيزاً لنقل البضائع ، وكان يورد عبره ٧٥ % من واردات القطاع بقدرة تشغيلية تصل نحو ٤٠٠ شاحنة في اليوم ، وبتاريخ ٢٠١١/٣/٢م أعلنت سلطات الاحتلال إغلاقه إغلاقاً نهائياً أمام حركة المرور.

وسعت وزادت سلطات العدو الإسرائيلي مساحة المناطق العازلة داخل القطاع ، وتشمل هذه المناطق نحو ٣٠ % من أفضل مناطق القطاع الزراعية ، ومئات آبار المياه ، وتتميز بمنتجاتها الوفيرة من الثروة الحيوانية خاصةً حظائر الدواجن والأبقار والأغنام ، والوصول إلى هذه الأراضي صار تحفه مخاطر كبيرة ، حيث تفرض قوات الاحتلال قيوداً صعبة على دخولها ، وسلامة أفراد الأسر التي تعمل فيها مهددةً على الدوام. وقد حد منع المزارعين من الوصول إلى هذه الأراضي من قدرتهم على زراعة المحاصيل المتنوعة المخصصة للتصدير ، حيث يزرع في الأراضي الزراعية ضمن المنطقة العازلة نحو ٤٠ % من الصادرات الزراعية في القطاع. كما سعت قوات الاحتلال إلى طرد السكان من المناطق العازلة بارتكاب انتهاكات جسيمة بحقهم سواء باستهدافهم من داخل الأراضي المحتلة ، أو من خلال عمليات التوغل المستمرة التي أدت إلى قتل وجرح واعتقال أعداداً كبيرة منهم وتدمير منازلهم وتدمير عدداً من المنشآت المدنية التي تخدمهم.

واصلت قوات العدو الإسرائيلي حصارها البحري على قطاع غزة بتقليص مساحة الصيد المسموح بها لصيادي القطاع إلى ثلاثة أميال بحرية فقط ، ومن يتعدى ذلك الخط الأحمر من الصيادين يعرض نفسه للمطاردة والتفتيش ، وإتلاف الزورق ومعدات الصيد ، أو الإغراق ، أو التدمير ، أو القتل ، أو الاعتداء ، أو الإصابة ، الأمر الذي فرض واقعاً حرم من خلاله الصيادين من الأماكن التي تتكاثر فيها الأسماك ، وأدى ذلك إلى فقدانهم ٥٨ % من دخولهم. كما استمرت انتهاكات قوات الاحتلال ضد الصيادين الفلسطينيين بدخولهم أحياناً داخل مساحة الثلاثة أميال التي سمحوا لهم بالصيد فيها.

وكما حفر الفيتناميون الأنفاق التي بها قهروا أكبر قوة في العالم ، وأجبروا جنودها على حزم أمتعتهم والرحيل إلى ديارهم التي أتوا منها ، كذلك لجأ أهل غزة للأنفاق القديمة والجديدة التي تمر عبر رفح إلى مصر. العدو الصهيوني لا يخشى هذه الأنفاق كما يخشى الأنفاق التي يمكن أن تمر عبر الأرض المحتلة ، فهو يعلم يقيناً أنها إذا قدر لها أن تقوم ستجبره كما أجبرت من هم قبله على العودة إلى من حيث أتوا. دأب جيش العدو الإسرائيلي قبل الانسحاب من قطاع غزة على شن حرب مستمرة على الأنفاق ، حيث عمد إلى إغراق المنطقة الحدودية ، واصطناع هزات أرضية مصغرة بواسطة المتفجرات ، والتفتيش من منزل إلى منزل ، وفي كل مرة يردم فيها نفقاً يقوم أهل غزة بحفر واحد آخر ووصله بممر النفق الرئيس. وبعد أن كانت هذه الأعمال سرية صارت علنية بعد عام ٢٠٠٧م ، حيث حفرت المئات من الأنفاق

تحت أبراج المراقبة الحدودية ، وتحت أقدام العسكر الذين يجوبون المنطقة الحدودية ، وتراوحت تلك الأنفاق بين بدائية ومتطورة ، واستخدمت في تهريب كل شيء من الخيول العربية إلى السيارات والسلع الأساسية التي كان يحظرها العدو الصهيوني ، ويمكن رؤية شواهد اقتصاد الأنفاق أو اقتصاد المقاومة في قطاع غزة في الكوكا كولا ، والسجائر ، والدراجات النارية الصينية ، والوقود ، ومواد البناء ، والأدوية المعروضة لكل من يرغب في الشراء من أهل القطاع.

(١٢)

المخيمات في غزة

زرت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في غزة ، وكانت هيئات بيوتهم وصغر مساحاتها وازدحامها كافياً لأن يعكس لي حجم المعاناة التي يواجهونها وهم يقطنون فيها. قد تكون معاناتهم إفرازاً لأسباب تاريخية واقتصادية معلومة ، لكن حتماً زاد من حدتها هذا الحصار الآثم الذي كبل أيديهم ، ومنعهم حرية الحركة ، وفي كل مرة يتكرر فيها العدوان كان يهدم في لمح البصر كل ما قاموا ببنائه خلال السنوات الماضية من أعمارهم.

تتميز غزة عن باقي المناطق الفلسطينية الأخرى التي فيها مخيمات بأن أغلب سكانها من اللاجئين الذين أتوا من مخيمات سابقة ، وقد جاءوا إلى غزة من جنوب مدينة يافا وبئر السبع في منطقة النقب عام ١٩٤٨م . بلغ عددهم آنذاك ٢٠٠ ألف لاجئ في حين كان عدد سكان غزة الأصليين ٨٠ ألفاً فقط ، وأدى هذا التدفق الكبير للاجئين إلى إرهاق هذا القطاع الضيق الذي تبلغ مساحته ٣٦٠ كم مربع فقط . أما اليوم فثلاثة أرباع سكان غزة البالغ عددهم ١,٦ مليون نسمة تقريباً هم من اللاجئين المسجلين ويمثلون ٢٢ % من مجموع اللاجئين الفلسطينيين المسجلين في وكالة الغوث الدولية.

وكما هو واضح من الخارطة التالية فإن قطاع غزة يأوي الثمان مخيمات التالية:

- مخيم جباليا: أنشئ عام ١٩٤٨م ، ويقع في الشمال الشرقي لمدينة غزة. زادت مساحته من ١,٤٠٣ دونماً عند إنشائه إلى أن وصلت الآن إلى ١,٤٤٨ دونماً. ارتفع عدد السكان القاطنين داخله من ٣٧,٨٠٠ نسمة وقت إنشائه إلى أكثر من ١٠,٦٦٩١ نسمة حسب تعداد سنة ٢٠٠٣م انطلقت من هذا المخيم الشرارة الأولى للانتفاضة الأولى المباركة في ١٩٨٧/١٢/٨م.
- مخيم الشاطئ: أنشئ في عام ١٩٤٩م ، ويقع إلى الشمال الغربي من مدينة غزة على شاطئ البحر ، ويبعد عن وسط المدينة حوالي أربعة كيلومترات من الجهة الشمالية. زادت مساحته من ٤٤٧ دونماً عند إنشائه إلى أن وصلت الآن إلى ٥١٩ دونماً. حسب إحصاء عام ١٩٩٥م بلغ عدد اللاجئين المسجلين داخله ٦٣,٣٨١ نسمة وخارجه ٤٥,٨٣٥ نسمة ، وارتفع عدد السكان القاطنين داخله إلى أكثر من ٧٨,٧٦٨ نسمة حسب تعداد سنة ٢٠٠٣م.
- مخيم النصيرات: أنشئ في عام ١٩٤٨م ، وهو من المخيمات الكبرى في القطاع من حيث السكان والمساحة ، ويقع على بعد ٨ كم جنوب مدينة غزة. ارتفع عدد السكان القاطنين داخله من ١٧,٦٠٠ نسمة عام ١٩٦٧م إلى أكثر من ٥٧,١٢٠ نسمة حسب تعداد سنة ٢٠٠٣م.

- مخيم دير البلح: أنشئ بعد النكبة ، ويقع إلى الشمال الغربي من مدينة بئر البلح. تقلصت مساحته من ١٥٦ دونماً عند إنشائه إلى أن وصلت الآن إلى ١٣٢ دونماً. وصل عدد السكان القاطنين داخله إلى ١٩,٥٣٤ نسمة حسب تعداد سنة ٢٠٠٣م.
- مخيم البريج: أنشئ في عام ١٩٤٩م ، ويقع إلى الجنوب من مدينة غزة. تقلصت مساحته من ٥٢٨ دونماً عند إنشائه إلى أن وصلت الآن إلى ٤٧٨ دونماً. أقيم على أنقاض معسكر للجيش البريطاني ، حيث بدأت الأونروا بإقامة الوحدات السكنية الأولية من الطوب والقرميد والصفيح. ويرجع سبب تسميته بالبرج إلى البرج الذي يقع بجواره. وحسب إحصاءات ١٩٩٥م بلغ عدد السكان داخله ٢٣,٨٢٠ نسمة و١٤,٩٩٠ نسمة خارجه ، وفي إحصائية ٢٠٠٣م وصل إجمالي اللاجئين المسجلين إلى ٢٨,٧٧٠ نسمة.
- مخيم المغازي: أنشئ في عام ١٩٤٩م ، ويقع في منتصف قطاع غزة إلى الجنوب من مدينة غزة. تقلصت مساحته من ٥٩٩ دونماً عند إنشائه إلى أن وصلت الآن إلى ٥٤٨ دونماً. وصل عدد اللاجئين المسجلين لدى الأونروا ٢٤,٠٠٠نسمة حسب تعداد سنة ٢٠٠٣م .
- مخيم خان يونس: أنشئ في عام ١٩٤٩م ، ويقع إلى الشمال الشرقي من مدينة خان يونس. زادت مساحته من ٥٤٩ دونماً عند إنشائه إلى أن وصلت الآن إلى ٥٦٤ دونماً. بلغ عدد السكان حوالي ٤٩,٦٨٠ نسمة داخله وحوالي ٦٨,٧٩٢ خارجه حسب تعداد ١٩٩٥م ، و وصل عدد المسجلين داخله إلى ٦٣,٢١٩ نسمة حسب تعداد ٢٠٠٣م.

- مخيم رفح: أنشئ في عام ١٩٤٩م ، وهو من أكبر مخيمات قطاع غزة ، ويقع في قلب مدينة رفح. أنشئ من قبل الأونروا لإيواء اللاجئين ، حيث أقامت لهم وحدات سكنية بسيطة من الطوب والصفيح. بلغ عدد السكان المسجلين حسب إحصاءات ١٩٩٥م ٧٢,٧٢٩ نسمة داخله و٤٠,٥٦٣ خارجه وشهدت هذه الأرقام قفزة حسب تعداد ٢٠٠٣م حيث وصل تعداد السكان داخله إلى ٩٥,١٨٧ نسمة.

تعتبر المخيمات في قطاع غزة واحدة من أكثر مناطق العالم ازدحاماً بالسكان ، فعلى سبيل المثال يقطن ٤٧ ألف لأجيء في مخيم الشاطئ الذي تقل مساحته عن كيلومتر مربع واحد ، وتعد كذلك أكثرها ضعفاً في البنيات التحتية فلا مدارس ولا مستشفيات ، ولا طرق معبدة ، ولا شبكات للكهرباء والمياه والصرف اصحي. وقد تأثرت كافة المخيمات بالحصار على غزة ، و وصلت البطالة فيها إلى معدلات غير مسبوقة حيث بلغت أكثر من ٤٠ % من القوة العاملة بالقطاع.

أورد المطلعون عن قرب على الأوضاع المعيشية في مخيمات اللاجئين بقطاع غزة بعض النقاط التي رأينا أنها ذات فائدة عظيمة في إلقاء الضوء على ضروب المعاناة اليومية التي يواجها هؤلاء اللاجئين المغلوبين على أمرهم ، من خلال ضنك حياتهم ، وسعيهم وكدحهم لكسب عيشهم لتوفير الحد الأدنى من احتياجاتهم.

- تزايد عدد اللاجئين الفلسطينيين تزايداً طبيعياً داخل المخيمات وخارجها خلال السنوات الطويلة التي أعقبت النكبة ، حيث بلغ عدد سكان قطاع غزة حوالي ١,٦ مليون نسمة في الوقت الحالي ، ويقدر عدد اللاجئين بينهم ١,١مليون نسمة ، منهم نحو ٥٥٢ ألف لاجئ يقيمون داخل مخيمات اللاجئين الثمانية في القطاع. وتبلغ الكثافة العامة للسكان في قطاع غزة ١٨٠٠ نسمة / كيلومتر واحد ، وهي من أعلى النسب في العالم.

- منذ إنشاء هذه المخيمات في عام ١٩٤٨م لم تحظى بأي هيكلة سكانية أو تخطيط سكني ، فأصبحت تشكل كتلةً بشريةً وسكنية تفتقر إلى سبل الحياة الصحية ، التهوية سيئة ، والمنافع العامة معدومة ، والشوارع والأرصفة ضيقة ، ومياه المجاري تغرق الشوارع خصوصاً في فصل الشتاء ، والأسواق مختلطة وملتصقة بالمساكن ، وأماكن لعب للأطفال معدومة. وازداد الوضع سوءً بعد العدوان الأخير على غزة الذي أدى إلى إتلاف أو تدمير ٦٠,٠٠٠ مسكناً.

- التضخم الهائل في عدد سكان المخيمات لا تقابله الزيادة المناسبة في مساحات البيوت أو عددها، وقد حاولت الأونروا تأهيل عدد من المساكن في القطاع إلا أن الحصار الخانق على القطاع أوقف جميع عمليات الترميم والبناء.

- آخر مسح للفقر أجرته الأونروا في قطاع غزة أظهر حدوث تدهور مريع في الأوضاع المعيشية، ثلث اللاجئين المسجلين يعيشون تحت خط الفقر المدقع وغير قادرين على تلبية احتياجاتهم الأساسية من الغذاء، بالإضافة إلى ٣٥٠ ألف لاجئ يعيشون الآن تحت خط الفقر الرسمي ويفتقرون إلى بعض المتطلبات الأساسية في الحدود الدنيا التي تسمح لهم بعيش حياة كريمة. وفقاً لبعض الإحصاءات غير الرسمية يقدر معدل دخل الفرد اليومي في غزة بدولارين ، فيما يعتمد نحو مليون فلسطيني على الإغاثة التي تأتيهم من المنظمات العالمية والأهلية.

- أشارت نتائج مسح القوى العاملة للعام ٢٠٠٩م إلى أن معدل البطالة ارتفع وسط اللاجئين إلى أن بلغ ٢٩.٥ %.

- تزداد الأوضاع سوءً يوماً بعد يوم على صعيد الأوضاع الصحية نتيجة للزيادة السكانية المضطردة وما يقابلها من نقص وتردي في الخدمات الصحية. وتساهم الحالة العامة للمخيمات الفلسطينية من ضيق الأزقة وتلوثها بالمياه غير الصحية وعبث الأطفال فيها في انتشار الأوبئة بين السكان. ويقع معظم الإشراف على الخدمات الصحية في المخيمات على الأونروا التي قلصت خدماتها بنحو ملحوظ. وتمتلك وكالة الغوث للاجئين شبكة تضم أكثر من ١٨ مركزاً أو عيادة صحية توفر الرعاية الطبية للاجئين خاصة فيما يتعلق برعاية الأم والطفل. والبرنامج الصحي للوكالة يحظى ب ١٨% من ميزانيتها الكلية. وبسبب فقر اللاجئين وعدم قدرتهم على تحمل نفقات العلاج في العيادات الخاصة فإنهم يتكدسون في هذه المراكز وينتظرون لساعات طويلة من أجل الحصول على العلاج والدواء المجاني.

- الحصار المفروض على غزة جعل إمكانية تعويض الأدوية والمستهلكات والمهمات الطبية النافدة شبه مستحيلة ، إضافةً إلى أن ظهور وانتشار العديد من الأمراض الجديدة التي نتجت من العدوان بأسلحة محرمة دولياً لا يقابله وجود مختبرات طبية مجهزة بأجهزة حديثة أو مؤسسات علاجية ذات كفاءة عالية.

- وعلى صعيد التعليم فإن الأونروا تشرف على التعليم الابتدائي والإعدادي، والتعليم الثانوي يقتصر على المدارس الرسمية. وللأونروا ١٦٨ مدرسة ابتدائية وإعدادية عاملة في قطاع غزة توفر فرص التعليم لنحو ١٦٠ ألف طالباً وطالبة، وما زالت الحاجة ماسة لبناء المزيد من المدارس لاكتظاظ التلاميذ في الصفوف مما اضطر عدد من المدارس للعمل بنظام الفترات الثلاث.

هذه الصورة القاتمة للحياة داخل المخيمات الفلسطينية عار في جبين عالم اليوم الذي يدعي الحضارة ، والديمقراطية ، والحرية ، وحقوق الإنسان ، لأنه سمح وبارك للكيان الصهيوني أن يحبس أهل غزة داخل ظلمة القطاع ، وأن يحبس اللاجئين داخل ظلمتين ، أولاهما ظلمة القطاع وثانيهما ظلمة المخيمات. ليت مصاصي الدماء الجدد هؤلاء قرأوا حديث معلم الإنسانية سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض) (البخاري: ٣٣١٨).

(١٣)

المستوطنات في غزة

احتل العدو الإسرائيلي عسكرياً الضفة الغربية وقطاع غزة في عام ١٩٦٧م ، ومنذ ذلك التاريخ شرع في بناء المستوطنات ضمن نهج سياسي واضح من أجل السيطرة على الأرض الفلسطينية ومصادرها الطبيعية. وقبل انسحاب العدو من قطاع غزة في ٢٠٠٥م كان يسيطر على ١١٦,٧ كيلومتراً مربعاً أي ما نسبته ٣٢.١٥ % من مساحة قطاع غزة الكلية ، وتشمل مناطق سيطرته عدة مساحات متداخلة بما فيها مساحة منطقة المستوطنات (المنطقة العمرانية) ، والمناطق التي تحيط بالمستوطنات والمناطق الصفراء. بلغ عدد المستوطنات الإسرائيلية في قطاع غزة ٢١ مستوطنة ، كان يقطنها ما يقارب ٨٧٠٠ مستوطناً إسرائيلياً (مركز الإحصاء الإسرائيلي ٢٠٠٤م) ، وتحتل المنطقة العمرانية للمستوطنات ما مساحته ٢٨.٤٠ كيلومترا مربعا ، أي ما يقارب ٧.٨ % من مساحة قطاع غزة الكلية. ويتواجد معظمها في الجزء الجنوبي الغربي و الجزء الشمالي لقطاع غزة ، والمجاور لساحل البحر الأبيض المتوسط. و تحتل المناطق المسماة بالمناطق الصفراء ما مساحته ١٥.٨ كم مربعاً ، أي ما نسبته ٤,٤ % من

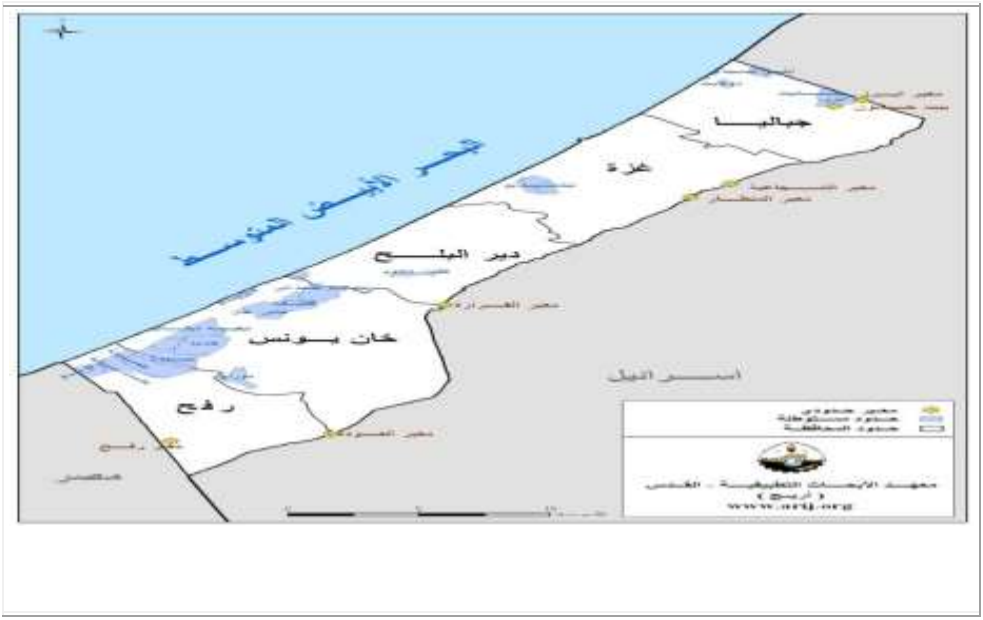

مساحة قطاع غزة الكلية , بينما تحتل المناطق الأمنية ما مساحته ٥٨.٠٤ كيلومترا مربعاً ما نسبته ١٦% من مساحة قطاع غزة الكلية. و تحتل المواقع و القواعد العسكرية الإسرائيلية ما مساحته ٤.٥٥٨ كيلومترا مربعاً أي ما نسبته ١.٣ % من مساحة قطاع غزة الكلية ، هذا بالإضافة الى الطرق التي تقع تحت السيطرة الإسرائيلية و تحتل ما مساحته ٢.٨٤ كيلومتراً مربعاً ٠.٧٨ % من مساحة قطاع غزة الكلية.

ظلت قوات الاحتلال الإسرائيلي تمارس كل أنواع التخريب والتدمير المتعمد باستخدام كافة وسائلها القمعية العسكرية والأمنية طوال فترة الاستيطان بالتعدي على السكان المدنيين وممتلكاتهم في شمال قطاع غزة ، واستهدفت الأراضي الزراعية والمزروعات بالتجريف والتخريب ، واستهدفت شبكات مياه الشرب والصرف الصحي وخطوط الكهرباء بالإزالة أو التخريب ، الأمر الذي أدى إلى

مضاعفة معاناة المواطنين الفلسطينيين. وكانت مستوطنات شمال قطاع غزة هي المنطلق الرئيسي للأعمال العسكرية الهمجية للعدو الإسرائيلي ، حيث قامت قواته باجتياح واقتحام أجزاء متفرقة من محافظة شمال غزة ، وبشكل متكرر ، منطلقة من مستوطنات شمال غزة ، مما ألحق الضرر بالعديد من ممتلكات الفلسطينيين ، وتجريف المئات من الأراضي الزراعية القريبة من تلك المستوطنات.

الجدول التالي يبين المستوطنات السابقة في قطاع غزة.

اسم المستوطنة بالعربية	اسم المستوطنة بالإنجليزية	المعنى بالعربية	تاريخ التأسيس
١- نيسانيت	Nisanit		-
٢- نتساريم	Netzarim		-
٣- كفار داروم	Kfar Darom	القرية الجنوبية	١٩٦٤ وأعيد بناؤها في ١٩٧٠م
٤- قطيف	Katif		-
٥- غاناي تال	Gannei Tal	حدائق الندى	١٩٧٩م
٦- موراج	Morag		-

٧- بيدوله	Bedolah		١٩٨٦م
٨- بينه أزمون	Bene Azmon	أبناء عزمون	-
٩- دوغيت	Dugit	قارب الصيد	١٩٩٠م
١٠- الي سيناي	Ele Sinai	إلى سيناء	١٩٨٣م
١١- غاديد	Gadid		-
١٢- غان أور	Gan Or	حديقة النور	-
١٣- كفار يام	Kfar Yam	قرية البحر	١٩٨٣م
١٤- نيفيه ديكاليم	Dekalim Neve	واحة النخيل	١٩٨٣م
١٥- نتسار حازاني	Netzar Hazzani		-
١٦- بيات ساديه	Pe'at Sadeh		-
١٧- رافات يام	Rafiah Yam		-

تركت المستوطنات الإسرائيلية آثاراً مدمرة في القطاع طالت جميع نواحي الحياة الفلسطينية سياسياً واقتصادياً ودينياً وتمثل ذلك في التالي:

- استنزاف الموارد المائية: بعد استيلاء العدو الإسرائيلي على الأرض عمد إلى السيطرة على الموارد المائية والتحكم فيها خلال سنوات احتلاله للقطاع. و إمعاناً منه في الاستيلاء على المياه في قطاع غزة أقام مستوطناته في الجزء الأفضل مائياً من الناحيتين الكمية والنوعية في شمال القطاع. و في تقرير لمركز المعلومات الوطني الفلسطيني أشار الى أن المستوطنات الإسرائيلية التي كانت مقامة على أراضي قطاع غزة في محافظاته الجنوبية لعبت دوراً رئيساً في استنزاف الخزان الجوفي في قطاع غزة ، حيث سحبت هذه المستوطنات من هذا الخزان ما مقداره كمتوسط سنوي خمسة مليون متر مكعب.

- تقييد التنمية العمرانية وحصارها: عمل العدو الصهيوني طوال فترة احتلاله للأراضي الفلسطينية على تقليص الرقعة الجغرافية التي يملكها الفلسطينيون ويقيمون عليها ، في حين سعى جاهداً لتوسيع الرقعة الجغرافية المخصصة للمستوطنات ، حيث وسع بعد توقيع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣م المساحات التي استولى عليها في محافظة شمال قطاع غزة والتي تقدر بآلاف الدونمات وتحتوي على الجزء الأكبر من المخزون الجوفي للمياه الفلسطينية.

- الإضرار بالبيئة الفلسطينية: لقد تركت المستوطنات الإسرائيلية أثاراً مدمرة على البيئة الفلسطينية تمثلت في التدمير البيئي لمظاهر الحياة الفلسطينية باستخدام أساليب عديدة منها:

- المياه العادمة: ففي مستوطنات شمال قطاع غزة كان يتم تصريف المياه العادمة في بركة المجاري الخاصة بالمستوطنات ، مما أدي

إلى إتلاف الأراضي الزراعية الفلسطينية وتلويث آبار المياه المخصصة للشرب ، هذا بالإضافة إلى تلويث الخزان الجوفي في المنطقة ، حيث ازدادت نسبة النترات والأملاح بحيث أصبحت المياه غير صالحة للاستعمال الآدمي.

- النفايات الصلبة: لقد ساهمت النفايات الصلبة الناتجة عن المستوطنات في تلويث البيئة الفلسطينية ، حيث تلقي هذه النفايات في منطقة المواصي، الأمر الذي تسبب في مخاطر كثيرة على البيئة والصحة العامة ، بالإضافة إلى كونها مصدراً للروائح الكريهة والحشرات الضارة.

انتهك العدو الصهيوني إبان فترة وجود مستوطناته في قطاع غزة كافة الأعراف وحقوق الإنسان البيئية التي كفلتها له القوانين الدولية المتمثلة في الآتي:

- جميع الأشخاص لهم الحق في بيئة آمنة صحية و سليمة.
- جميع الأشخاص لهم الحق في بيئة ملائمة لاحتياجات الجيل الحالي ، بحيث لا ينقص ذلك من حقوق الأجيال المستقبلية.
- جميع الأشخاص لهم الحق بالتحرر من التلوث ، التدهور البيئي ، والنشاطات التي تؤثر سلبا على البيئة أو الصحة أو الرزق أو الرفاهية أو التنمية المستدامة داخل أو عبر أو خارج حدود الأمة.
- جميع الأشخاص لهم الحق بالحماية والحفاظ على التربة ، والهواء ، والماء ، والبحر ، والنبات ، والحيوان ، وبالعمليات الأساسية للمناطق التي تحتاج إلى ضرورة الحفاظ على تنوعها البيولوجي وأنظمتها البيئية.

- جميع الأشخاص لهم الحق في تحقيق الحد الأعلى من معايير الصحة الخالية من التدهور البيئي.
- جميع الأشخاص لهم الحق في غذاء ومياه سليمة وصحية كافية من أجل عيش مناسب.
- جميع الأشخاص لهم الحق بعمل ذا بيئة صحية وآمنة.
- جميع الأشخاص لهم الحق بالحصول على سكن ملائم ، وملكية أرض ، وظروف معيشية آمنة ، وظروف صحية وبيئية سليمة.
- الناس المحليين لهم الحق بالسيطرة على أراضيهم ، والسيطرة على المناطق والمصادر الطبيعية للحفاظ على طريقتهم التقليدية في الحياة. وهذا يحتوي على حقهم في الأمن للتمتع بممتلكاتهم حسب طرقهم الخاصة. الناس المحليين لهم الحق بالحماية من أي نشاط أو عمل ينفذ ، والذي قد ينتج عنة تدمير أو تدهور مناطقهم ، بما في ذلك الأرض ، والهواء ، والماء ، والبحر ، والحياة البرية ، والمصادر الأخرى.
- يجب على جميع الحكومات أن تحترم وتؤكد الحق في بيئة آمنة ، صحية وسليمة. وفي نفس الوقت أن تطبق المقاييس الإدارية ، والتشريعية ، وغيرها اللازمة من أجل تفعيل تطبيق هذه الحقوق.
- يجب أن تمتنع الدول وجميع الأعضاء الآخرين عن استخدام البيئة كأدوات للحرب ، أو في التصرفات الخطرة ، والتأثيرات الضارة على المدى الطويل أو الواسع ، وأن تحترم القانون الدولي الذي يوفر الحماية للبيئة في أوقات الحروب والتعاون من أجل دعمها وتطويرها.

بعد الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة في عام ٢٠٠٥م انضم أكثر من ٨,٧٠٠ عاملاً فلسطينياً ممن كانوا يعملون في المستوطنات ومنطقة ايرز الصناعية إلي قوافل البطالة بدون سابق إنذار أو مراعاة لأدنى حقوقهم ، برغم من أن السياسة الإسرائيلية الجديدة التي اتبعت بعد نيسان ٢٠٠٤م كانت قد أقرت بمنح المستوطنين في مستوطنات قطاع غزة وأرباب العمل والمصانع تعويضات مالية نتيجة هذا الإغلاق ونقل المصانع من منطقة ايرز إلى البلدات الإسرائيلية.

أهل غزة يدركون أنه في ظل الحصار الآثم لا مناص لهم من الاستفادة من كل شبر يمكن استخدامه في الزراعة داخل القطاع ، ومن ضمنها المستوطنات السابقة التي أحدث بها العدو نهضة زراعية ملحوظة ، ولكنه حينما حل أوان رحيله تركها مدمرة وأخذ منها كل شيء يمكن الانتفاع به.

(١٤)

مؤتمر البحث العلمي والدراسات العليا

وقع اختيار اتحاد الجامعات العربية على إحدى جامعات غزة وهي جامعة الأقصى لتستضيف أول مؤتمر للبحث العلمي والدراسات العليا ، لأن غزة بصمود أبنائها استطاعت كسر الحصار والانتصار على عدوان الاحتلال في حرب الفرقان ، ولذلك فإن هذا المؤتمر حمل دلالات علمية وسياسية وإنسانية مهمة للشعب الفلسطيني ، وللأمة العربية التي عليها أن تعي وتفهم أنه قد آن الأوان لأن تهتم بالبحث العلمي وتطويره ، وتوفير المال اللازم له بما يتلاءم مع روح التطور الحاصل في عالم اليوم ، وأن تستلهم العبر والدروس من الشعوب الحية فتدرك بأنه لا يمكن لها أن تتقدم أو تتطور بدون تطويرها البحث العلمي. يأتي هذا المؤتمر للعمل على سد الفجوة العلمية والتكنولوجية بين العرب والعالم المتقدم بشكل عام ، وبينهم وبين العدو الإسرائيلي بشكل خاص ، علماً بأن آخر الإحصاءات تقول بأن الدول العربية مجتمعة تخصص للبحث العلمي ما نسبته ٠.٢% من الناتج القومي الإجمالي فيما يخصص العدو الإسرائيلي ما نسبته ٤ % ، وأن معدل ما تصرفه إسرائيل على البحث والتطور المدني وليس العسكري في مؤسسات التعليم العالي ما يوازي ٣٠.٦ % من الموازنة الحكومية المخصصة للتعليم العالي بكامله ويصرف الباقي على المصروفات الإدارية بينما العكس تماماً يحدث في الدول العربية ، ويعتمد العدو

الإسرائيلي بشكل كبير على المراكز البحثية القائمة داخل الجامعات ومؤسسات التعليم العالي وتبلغ معدلات الإنفاق الحكومي على البحوث داخل الجامعات أعلى نسبة في العالم ، بينما ينفق القطاع الخاص ما نسبته ٥٢ % من الإنفاق العام على الأبحاث والتطوير ، ويحتل العدو الإسرائيلي المركز الثالث في العالم في صناعة التكنولوجيا المتقدمة بعد " وادي السليكون " في كاليفورنيا وبوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية ، والمركز الخامس عشر من الدول الأولى في العالم المنتجة للأبحاث والاختراعات.

وعلى خلفية هذه المقدمة المختصرة سوف نتناول ما دار في أروقة المؤتمر من أوراق قدمت ، ونقاشات احتدمت حول ما جاء فيها ، ومدى اتساق مخرجات المؤتمر مع ما وضعه منظموه من أهداف وغايات على كافة الأصعدة والمستويات. على مستوى البحث العلمي بشكل عام في العالم العربي يسعى المؤتمر إلى وضع البحث العلمي في الدول العربية في مساره الصحيح بما يمكن من تطبيق نتائج وتوصيات الأبحاث والدراسات على أرض الواقع بالكيفية التي تجعلها تسهم في تطور ونهضة الأمة العربية ، وأن يسهم الربيع العربي والتطورات السياسية الراهنة في المنطقة في دفع عجلة التطور العلمي ، وإعطاء الشباب دور إضافي في نهضة الشعوب العربية. على مستوى الجامعات العربية يهتم هذا المؤتمر بإيجاد السبل الكفيلة بدعم البحث العلمي فيها ، وكذلك إلى فتح المجال للتعاون والتنسيق بينها في مجال الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه. على مستوى البحث

العلمي في الجامعات الفلسطينية التي عانت طويلاً بسبب الحصار والاحتلال الذي أثر سلباً على البحث العلمي في قطاع غزة بأن منع الباحثين الفلسطينيين من التواصل مع الباحثين العرب وغير العرب ، ومنعهم من الوصول إلى المراجع والمصادر وأمهات الكتب ، مما جعلهم يعتمدون بالدرجة الأولى على الشبكة العالمية للمعلومات للوصول إلى الدوريات العلمية والمراجع الأساسية ، وكثير من هذه المراجع لا يتوفر من خلال هذه الشبكة. وأنه من خلال هذا المؤتمر سيتم طرح العديد من الأفكار للخروج من حالة الحصار المفروض على غزة لفتح آفاق المستقبل للتواصل بين الجامعات الفلسطينية والعربية من خلال البحث المشترك بما يعود بالنفع على الأمة بترقية البحث العلمي بشكل عام ، كذلك سيمكن الجامعات الفلسطينية من توقيع اتفاقات لكسر العزلة التي تعيش فيها غزة بسبب الحصار الذي ما زالت تتواصل فصوله. على مستوى القضية الفلسطينية وقطاع غزة تنظيم هذه التظاهرة العلمية في أرض غزة يحمل الكثير من المعاني والدلالات في الصمود وكسر الحصار الظالم ، وأن مشاركة باحثين وعلماء من الجامعات العربية وغير العربية في أول تظاهرة علمية وحدث علمي على مستوى الوطن العربي دليل على اعتزاز الأمة العربية بالشعب الفلسطيني ، وهذا المؤتمر بمثابة دعم للشعب الفلسطيني ، وبذلك يؤكد العرب والمسلمون عدم اعترافهم بالحصار المفروض على قطاع غزة ، وأن الباحثين والأكاديميين يتطلعون لأن يكون لهم دور مشهود في كسر الحصار الجائر على قطاع غزة.

الأوراق التي قدمت في هذا المؤتمر غطت محورين مهمين من المحاور التي يقوم عليها التعليم العالي في الجامعات الحكومية وغيرها من المؤسسات الأخرى ذات الصلة في الوطن العربي ، المحور الأول دار حول البحث العلمي والمحور الثاني حول الدراسات العليا. وكما هو واضح من جداول جلسات المؤتمر التي نوردها لك هنا أن الأوراق البحثية التي قدمت في هذا المؤتمر تناولت جل القضايا والمشكلات والمصاعب والحلول والرؤى التي ترتبط بالبحث العلمي والدراسات العليا في الجامعات العربية. تناولت أوراق محور البحث العلمي ثقافته وأخلاقياته ، دوره في مواجهة مشكلات المجتمع ، دوره في حفظ التراث الشعبي ، المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس ، تفعيل المهارات الأساسية للبحث العلمي لدى الباحثين ، التعاون العلمي بين الجامعات ، النهوض بجودة البحث العلمي ، البحث العلمي وتحديات التنمية الاقتصادية ، البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية ، البحث العلمي عند العدو الإسرائيلي. وتناولت أوراق محور الدراسات العليا حاضرها ومستقبلها في الوطن العربي ، ودورها في تأصيل الهوية والانتماء والإشكالات والمعوقات التي تواجهها ، التكوين العلمي والثقافي لطلاب الدراسات العليا ودورهم في مواجهة تحديات العولمة والتزامهم بأخلاقيات البحث العلمي ، التحديات التي تواجه المعوقين الملتحقين ببرامج الدراسات العليا ، كيفية تحويل الدراسات العليا من غاية فردية إلى حاجة مجتمعية ، والتجارب المشتركة بين الجامعات في هذا المجال.

المحور الأول : البحث العلمي

الجلسة الأولي الأربعاء ٢٠١٢/١/٢٥م (٩:٠٠-١٠:٤٥) قاعة المؤتمرات/رئيس الجلسة أ.د عبد الله بركات

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	د . محمد صالح محمد الشنطي	جامعة جدارا – اربد- الأردن	ثقافة البحث العلمي وأخلاقياته بين النظرية والتطبيق	٩:٠٠-٩:١٥
٢	أ.د نظمي عودة أبو مصطفي د. عطاف محمود أبو غالي	جامعة الأقصى - غزة	البحث الأكاديمي الفلسطيني بين الاستعداد والإعداد	٩:١٥- ٩:٣٠
٣	د . جمال فواز منصور العمري	جامعة البلقاء التطبيقية الأردن	إشكاليات البحث العلمي التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الرسمية	٩:٣٠-٩:٤٥
٤	د. عثمان عبد الرحمن أبو عامر	جامعة الأمة - غزة	البحث العلمي في إسرائيل وعلاقته بمركز صنع القرار	٩:٤٥- ١٠:٠٠
٥	أ.د علا عبد المنعم الزيات	جامعة المنوفية– ج م ع	دور البحث العلمي في مواجهة المشاكل المجتمعية	١٠:٠٠- ١٠:١٥
	نقاش واستراحة			١٠:١٥- ١٠:٤٥

الجلسة الثانية الأربعاء ٢٠١٢/١/٢٥م (١٠:٤٥-١٢:٣٠)

قاعة المؤتمرات/رئيس الجلسة أ.د محمد ألمجالي

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	أ.د حافظ فرج أحمد	جامعة عين شمس – كلية البنات	تفعيل المهارات الأساسية للبحث العلمي للباحثين في مجال الدراسات التربوية والاجتماعية	١٠:٤٥-١١:٠٠
٢	أ.د محمد صبري حافظ .د حافظ فرج أحمد	جامعة الأزهر – ج. م. ع	ميثاق شرف أخلاقي للباحثين في مجال الدراسات التربوية	١١:٠٠-١١:١٥
٣	أ.د محمد صابر عبيد	جامعة الموصل - العراق	وعي النظرية وسلامة الإجراء دراسة في تكوين العقل البحثي	١١:١٥-١١:٣٠
٤	د . محمود حامد محمود عبد الرازق	جامعة جنوب الوادي- قنا – ج. م. ع	مواجهة التحديات التي تواجه البحث العلمي والدراسات العليا لتحقيق أغراض التنمية الاقتصادية	١١:٣٠-١١:٤٥
٥	د . فايزة نايف يوسف	جامعة البلقاء التطبيقية الأردن	خبرات فردية ومجتمعية علي صعيد البحث العلمي في المملكة الأردنية الهاشمية	١١:٤٥-١٢:٠٠
	نقاش واستراحة			١٢:٠٠-١٢:٣٠

الجلسة الثالثة الأربعاء ٢٠١٢/١/٢٥م (١٢:٣٠-١٤:١٥) قاعة المؤتمرات/رئيس الجلسة أ.د حافظ فرج أحمد

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	أ.د كمال محمد أحمد	جامعة قناة السويس – ج. م. ع	التعاون العلمي بين جامعة قناة السويس ومثيلاتها في الوطن العربي	١٢:٣٠- ١٢:٤٥
٢	أ.د نبيل خالد أبو علي	الجامعة الإسلامية - غزة	البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية واقع التجربة وطموح الأمنية	١٢:٤٥- ١٣:٠٠
٣	د. نواف أحمد سمارة د. وائل عبد الرحمن التل	جامعة مؤتة – الأردن جامعة جازان - السعودية	واقع ممارسات البحث العلمي في جامعة مؤتة بالأردن في ضوء تقديرات أعضاء هيئة التدريس في الجامعة	١٣:٠٠- ١٣:١٥
٤	أ . د ميرفت محمد راضي	كلية فلسطين التقنية – دير البلح	رؤية مستقبلية للنهوض بجودة البحث العلمي في الجامعات العربية تلبية لمتطلبات التنمية الشاملة	١٣:١٥- ١٣:٣٠
٥	أ د مصطفي يسري عبد الغني	بحث أكاديمي في العلوم الاجتماعية – ج. م. ع	جودة تعليم واستخدام البحث العلمي في الخدمة الاجتماعية	١٣:٣٠- ١٣:٤٥
	نقاش واستراحة			١٣:٤٥- ١٤:١٥

الجلسة الرابعة الأربعاء ٢٠١٢/١/٢٥م (١٤:٤٥-١٦:٣٠) قاعة المؤتمرات/رئيس الجلسة أ.د محمد صالح الشنطي

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	أ . د سناء إبراهيم أبو دقة أ .د عليان عبد الله الحولي	الجامعة الإسلامية - غزة	توظيف البحث العلمي في تطوير أداء مؤسسات التعليم العالي في فلسطين	١٤:٤٥-١٥:٠٠
٢	د . محمد يحي فروانة	كلية العلوم والتكنولوجيا - غزة	العقبات التي تواجه البحث العلمي في الجامعات العربية	١٥:٠٠-١٥:١٥
٣	أ . شحدة جمال الأشقر	وكالة البحوث الدولية - غزة	أخلاقيات البحث العلمي وثقافته	١٥:١٥-١٥:٣٠
٤	د . نجوى فوزي صالح أ. د يوسف خليل مطر	الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية غزة	وضع البحث العلمي بالكلية الجامعية للعلوم التطبيقية وسبل تطويره من وجهة نظر المسئولين الأكاديميين	١٥:٣٠-١٥:٤٥
٥	أ . هناء خميس أبو دية	الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية غزة	المعيقات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس نحو البحث التطبيقي في الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية وسبل التغلب عليها	١٥:٤٥-١٦:٠٠
	نقاش واستراحة			١٦:٠٠-١٦:٣٠

المحور الثاني : الدراسات العليا

الجلسة الأولى: الأربعاء ٢٠١٢/١/٢٥م (٩:٠٠- ١٠:٤٥) /

قاعة الفيديو كونفرنس

رئيس الجلسة: أ.د كمال أحمد

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	اسم الباحث	جامعة بغداد - العراق	الدراسات العليا في جامعة بغداد الواقع والطموح	٩:٠٠- ٩:١٥
٢	أ .د أحمد فضل حسن	جامعة دنقلا - السودان	"الدراسات العليا المشاكل والحلول " تجربة جامعة دنقلا	٩:١٥- ٩:٣٠
٣	أ .د سامي محمد طمبل صالح	جامعة الجنان - لبنان	دور الدراسات العليا في تأصيل الهوية والانتماء	٩:٣٠- ٩:٤٥
٤	أ . د علي محمد الاغا	جامعة وادي النيل - السودان	حاضر ومستقبل الدراسات العليا في الجامعات العربية	٩:٤٥- ١٠:٠٠
٥	د . عبد المنعم عوض الكريم عبد الرحمن	جامعة الموصل - العراق	ملاحظات تشخيصية حول واقع الدراسات العليا في العلوم التربوية والنفسية في جامعة الموصل (كلية التربية الأساسية نموذجا)	١٠:٠٠- ١٠:١٥
	نقاش واستراحة			١٠:١٥- ١٠:٤٥

الجلسة الثانية: الأربعاء ٢٠١٢/١/٢٥م (١٠:٤٥-١٢:٣٠) /

قاعة الفيديو كونفرنس

رئيس الجلسة: أ.د إبراهيم عوض

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	أ .د حسن عبد العليم عبد الجواد يوسف	جامعة قناة السويس –ج. م. ع	التجربة الأندونيسية المصرية بين النظرية والتطبيق	١٠:٤٥- ١١:٠٠
٢	د.إبراهيم سليمان شيخ العيد	الجامعة الإسلامية - غزة	مدى التزام طلبة الدراسات العليا بأخلاقيات البحث العلمي من وجهة نظر الأساتذة الجامعيين	١١:٠٠- ١١:١٥
٣	د . رضوان بلخيري	جامعة تبسة – الجزائر	التكوين العلمي والثقافي لطلبة الدراسات العليا بالجامعة الجزائرية معايير مقترحة لتطوير البحث العلمي في الجزائر دراسة ميدانية على طلبة الدراسات العليا بجامعة تيسة	١١:١٥– ١١:٣٠
٤	د. زكي رمزي مرتجى	جامعة القدس المفتوحة - غزة	فعالية حلقات السمينار في إكساب طلبة الدراسات العليا بكلية التربية مهارات البحث العلمي- دراسة حالة جامعة الأزهر	١١:٣٠– ١١:٤٥
٥	أ. ناهض محمود إبراهيم محسن	وزارة التربية والتعليم - غزة	أثر العولمة على الدراسات العليا في الجامعات العربية	١١:٤٥– ١٢:٠٠
	نقاش واستراحة			١٢:٠٠– ١٢:٣٠

الجلسة الثالثة: الأربعاء ٢٠١٢/١/٢٥م (١٢:٣٠ – ١٤:١٥) /

قاعة الفيديو كونفيرنس/ رئيس الجلسة:أ.د السر الطاهر محمد

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	د. بسام محمد أبو حشيش د. زكي مرتجى د. تيسير محمود نشوان	جامعة الأقصى – غزة	برامج الدراسات العليا (درجة الماجستير) في كلية التربية بجامعة الأزهر بغزة " دراسة تحليلية للتكلفة والعائد الاقتصادي "	١٢:٣٠– ١٢:٤٥
٢	د. خليل عبد الفتاح حماد د. سمية سالم النخالة	وزارة التربية والتعليم العالي – غزة	دور برامج الدراسات العليا في تعزيز ثقافة الانتماء لدى الشباب في كليات التربية بجامعة غزة	١٢:٤٥– ١٣:٠٠
٣	أ. حنان رمضان أبو سكران أ. سمية أحمد أبو هداف	وزارة التربية والتعليم العالي – غزة	فاعلية الأداء التدريسي لمعلمات الدراسات العليا في المباحث العلمية للمرحلة الثانوية بمحافظات غزة من وجهة نظر مديرات المدارس والمشرفين التربويين	١٣:٠٠– ١٣:١٥

٤	د. محمد عبد الفتاح حمدان د. يحي محمد أبو جحجوح	جامعة غزة جامعة الأقصى	واقع مناقشات الرسائل العلمية في الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة في ضوء معايير المناقشة العلمية الجيدة	١٣:١٥– ١٣:٣٠
٥	د. إبراهيم سليمان شيخ العيد د. صلاح أحمد الناقة	وزارة التربية والتعليم العالي – الجامعة الإسلامية - غزة	دور طلبة الدراسات العليا (الممارس من قبلهم ٩ في مواجهة تحديات العولمة (رؤية مقترحة)	١٣:٣٠– ١٣:٤٥
	نقاش واستراحة			١٣:٤٥– ١٤:١٥

الجلسة الرابعة الأربعاء٢٠١٢/١/٢٥م (١٢:٣٠-١٤:١٥) / قاعة الفيديو كونفيرنس/رئيس الجلسة أ.د علي لاغا

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	أ.د السر الطاهر محمد الماحي	جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية أم درمان - السودان	دور الدراسات العليا في تأصيل الهوية وتعزيز الانتماء	١٤:٤٥-١٥:٠٠
٢	د . مجدي خضر الكردي	جامعة القدس المفتوحة - غزة	تصور مقترح يعمل على تحويل الدراسات العليا في جامعة غزة من غاية فردية ودرجة أكاديمية لحاجة مجتمعية	١٥:٠٠-١٥:١٥
٣	أ. نادية فايز رشيد الدلو	وزارة التربية والتعليم - غزة	الإشكاليات التي تواجه طلبة الدراسات العليا في البحث العلمي	
٤	د. منير سعيد علي عوض	جامعة الأقصى - غزة	واقع الدراسات العليا في برنامج ماجستير المناهج وتكنولوجيا التعليم في الجامعة الإسلامية بغزة (مشكلات وحلول)	١٥:١٥-١٥:٤٥
٥	د.م. وائل حسن عايش	كلية العلوم والتكنولوجيا - غزة	تصور مقترح لحل المشكلات والأزمات التي تواجه برامج الدراسات العليا في الجامعات الفلسطينية من وجهة نظر الأكاديميين والباحثين	١٥:٤٥-١٦:٠٠
	نقاش واستراحة			١٦:٠٠-١٦:٣٠

الجلسة الأولى الخميس٢٠١٢/١/٢٦م (٩:٠٠-١٠:١٥)

قاعة المؤتمرات/رئيس الجلسة أ.د محمد صابر عبيد

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	د. عبد العظيم أحمد عبد العظيم	جامعة دمنهور – ج.م.ع	التعليم المستمر والتنمية المستدامة في الإتحاد الأوروبي	٩:٠٠-٩:١٥
٢	أ.د محمد معوض إبراهيم	جامعة سيناء – ج.م.ع	الصعوبات التي تواجه بحوث الإعلام المتخصص في الجامعات المصرية وكيفية مواجهتها	٩:١٥-٩:٣٠
٣	د. محمد علي الصليبي	جامعة النجاح – فلسطين	تحديات وعقبات تواجه العوامل الثقافية والمعرفية	٩:٣٠ – ٩:٤٥
٤	د. فرج إبراهيم أبو شمالة	كلية مجتمع تدريب غزة	دور الدراسات والبحوث التربوية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لدى المجتمع الفلسطيني بمحافظات غزة	٩:٤٥-١٠:٠٠
٥	د. أيمن محمد فريحات	جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن	التكامل بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والعملية التعليمية	١٠:٠٠-١٠:١٥
	نقاش واستراحة			١٠:١٥-١٠:٤٥

الجلسة الثانية الخميس٢٠١٢/١/٢٦م (١٠:٤٥-١٢:٣٠)

قاعة المؤتمرات/ رئيس الجلسة أ.د محمد شيبات

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	أ. إدريس محمد صقر جردات	مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي/ الخليل – فلسطين	دور مراكز البحوث الفلسطينية في التنمية من حفظ وتوثيق وصيانة وأرشفة التراث والهوية الوطنية – مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي كنموذج – دراسة توثيقية وصفية	١٠:٤٥-١١:٠٠
٢	د. ناهض صبحي فورة د. زكي رمزي مرتجى	جامعة الأقصى – جامعة القدس المفتوحة – غزة	دور تكنولوجيا التعليم في تطوير البحث النربوي في مجال تدريس مبحث اللغة العربية لاختصاص تربية الطفل بغزة	١١:٠٠-١١:١٥
٣	د. محمد حسينات د. محارب علي الصمادي	جامعة البلقاء التطبيقية	مدى ممارسة أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية للسلوكيات المهنية من وجهة نظرهم	
٤	د. موسى فتحي موسى عتلم	جامعة المنوفية – ج.م.ع	دور الجغرافيا في دراسة قضايا التنمية الزراعية – نماذج من مصر	١١:١٥-١١:٤٥
٥	د. مسعود عبد الحميد حجو	جامعة القدس المفتوحة	دور التعليم العالي في تعزيز قيم الانتماء لدى طلبة الجامعة	١١:٤٥-١٢:٠٠
	نقاش واستراحة			١٢:٠٠-١٢:٣٠

الجلسة الثالثة الخميس٢٠١٢/١/٢٦م (١٢:٣٠-١٤:١٥)

قاعة المؤتمرات/ رئيس الجلسة أ.د محمد شيبات

م	اسم الباحث	اسم الجامعة أو المؤسسة	عنوان البحث	التوقيت
١	أ .د السيد عبد المجيد الشربيني د. هشام عبد الجليل شتير د . محمود صابر/ د . محمد عوض عجاج/ د . أحمد عبد الوهاب	المعهد القومي لعلوم الليزر	البحث الحراري لعلاج السرطان باستخدام الليزر والرنين المغنطيسي وجسيمات الناتو المتراكبة (المغنطيسية والذهب)	١٢:٣٠-١٢:٤٥
٢	د . سليمان محمد بركة	جامعة الأقصى-غزة	مكافحة الصدمات القوسية المغنطيسية في الفضاء بواسطة كود كهرومغناطيسي نسبي في ثلاثة أبعاد	١٢:٤٥-١٣:٠٠
٣	د . م علا محمود مسلم	كلية العلوم والتكنولوجيا	المركز القومي للبحوث كحل لمشكلات صناعة البحث العلمي في قطاع غزة	١٣:٠٠-١٣:١٥

٤	د . اشرف الددا	ألمانيا	Tran immunization and other innovative cellular therapy in the treatment of GVHD after allergenic stem cell and solid organ transplantation	١٣:١٥-١٣:٣٠
٥	Dr. Jean E. Calder AC	College of Ability Development	The Challenge of Disability for Higher Education	١٣:٣٠-١٣:٤٥
	نقاش واستراحة			١٣:٤٥-١٤:١٥

الجلسة الختامية ٢٠١٢/١/٢٦م (١٨:٠٠ــ٢٠:٠٠)

قاعة المؤتمرات

م	الفقرات	التوقيت
١	التوصيات	١٨:٠٠-١٨:١٠
٢	كلمة القائم بأعمال رئيس الجامعة	١٨:١٠-١٨:٢٠
٣	كلمة وزير التربية والتعليم	١٨:٢٠-١٨:٣٠
٤	توزيع الدروع وشهادات التقدير	١٨:٣٠-١٩:٠٠

برنامج جلسات المؤتمر تم تنفيذه بحذافيره حسب ما هو موضوع له ، لم تتقدم أو تتأخر أو تلغى جلسة ، لم تحذف أو تبدل ورقة ، سبحان الله كل شيء تم في انضباط تام كعقارب الساعة ، حركة المشاركين والمنظمين جرت في سلاسة وتناغم عجيبين بدون حدوث تعارض أو إخفاق كأنما جميعهم خضعوا لتدريبات وبروفات مسبقة أعدتهم لهذه الأيام.

أتاح هذا المؤتمر الفرصة لإجراء حوار علمي مفيد أسهم كثيراً في إثراء المؤتمر بآراء هادفة ألقت المزيد من الضوء على الآراء المطروحة ، وأسهمت في التوصل إلى التوصيات التي خلص المؤتمر إليها. ومن خلال البحوث المقدمة في جلسات المؤتمر ، وما كان يدور حولها من نقاش وحوار علمي ، وباستخلاص مؤشرات مما ورد في كلمات الافتتاح ، وفي تجارب الجامعات ، وفي أوراق العمل الأساسية خرج المؤتمر بواحد وأربعين توصية يمكن إيراد أهمها فيما يلي:

١- عقد مؤتمر سنوي لعمداء البحث العلمي والدراسات العليا في جميع الدول العربية.

٢- تأسيس هيئة مدنية للتفكير الاستراتيجي تشمل الدول العربية والإسلامية دون استثناء لأية جهة علمية وذلك لتوسعة قاعدة المعارف والعلوم والخبرات والإمكانات الدافعة للتقدم العلمي.

٣- التنسيق والتعاون بين مؤسسات البحث العلمي لتفادي الازدواجية في الأبحاث وتكرارها وبالتالي تكامل الطاقات والقدرات والإمكانات وترشيدها.

٤- نشر البحوث في الدوريات المتخصصة ذات المستوى العلمي التابعة لمؤسسات البحث العلمي.

٥- إنشاء قاعدة بيانات الكترونية مشتركة لإجراء الأبحاث تكون متاحة لجميع مؤسسات البحث العلمي.

٦- ربط العلاقات مع العلماء المهاجرين والاستفادة من تبادل الخبرات العلمية معهم " ما أمكن " من خلال المنتديات العلمية.

٧- تفعيل الدور الرسمي للنهوض بالبحث العلمي من خلال التنسيق بين المجتمع المدني والنظم الرسمية وذلك بهدف إغلاق الفجوة الواسعة بين السياسيين والمخططين والمنفذين للخطط التنموية من جهة وبين الباحثين والعلماء الذين يعملون في المراكز العلمية من جهة أخرى ، لتكامل طاقات الأمة وإمكاناتها ، وتسخير إمكانات الدولة والأمة للبحث العلمي وتعزيز مكانته في الثقافة المجتمعية للتحول من مجتمع مستهلك للعلم إلى مجتمع مبادر يضيف للعلم ضمن الحد الريادي المساهم في الحضارة الإنسانية.

٨- توفير المختبرات والأجهزة والأدوات اللازمة لعمليات البحث العلمي ووضع القواعد التي تضمن كفاءة استخدامها.

٩- اعتماد وسائل وآليات لتحفيز الباحثين من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ورعايتهم ودعمهم.

١٠- إنشاء مجلس لعمداء البحث العلمي في الوطن العربي يجتمع سنوياً لمتابعة الخطة البحثية ولبحث سبل التعاون وتوفير الدعم اللازم لنجاح الخطة البحثية.

١١- إنشاء مكتبة مركزية للدراسات العليا في كل جامعة تعتمد نظام الفهرسة الالكترونية والمكتبة الالكترونية.

١٢- إعداد خطة شاملة للبحث العلمي في كل جامعة من جامعات الدول العربية تسعى إلى تحقيق الرؤية المستقبلية للجامعة في مجال البحث العلمي والتطور التكنولوجي وتدعم البحوث متعددة التخصصات ، كما تتوجه الخطة البحثية لتحقيق السبيل الأمثل للاتصال بالمؤسسات الإنتاجية والخدمية وربط الجهود البحثية بالجامعة بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبالقضايا ذات الطابع القومي.

١٣-إنشاء رابطة علماء من أجل غزة.

وفي الجلسة الختامية التي كانت رائعة ومؤثرة ، حق للقائم بأعمال رئيس جامعة الأقصى أن يكون مبتهجاً منشرحاً وهو يلقي كلمته في الجلسة الختامية ، لأن جامعته نجحت بدرجة فوق الامتياز في تنظيم هذا المهرجان العلمي العربي الأول ، ولأن العلماء الذين شاركوا في هذا المؤتمر عرب وعجم صاروا يحملون بين جوانحهم انطباعات طيبة عن جامعة الأقصى والجامعة الإسلامية وجامعة فلسطين وباقي جامعات غزة نتيجةً لكل ما شاهدوه وما سمعوه وما لمسوه ، وكذلك حق لوزير التربية والتعليم في قطاع غزة أن يحس بالفخر والعزة والشموخ وهو يلقي كلمته ، لأن الحصار العلمي الذي فرضه العدو الإسرائيلي أصبح في خبر كان وأن غزة تهيأت لأن تكون مقبلة بفضل الله وعونه وتوفيقه على طفرة علمية وتكنولوجية ستقود وستجبر العالم إلى إعادة الأمور إلى نصابها وإلى إحقاق الحق وتحقيق ثوابت الأمة ، ومن بعدهم حق للعلماء المشاركين أن يفرحوا بالنصر الذي تحقق على أيديهم وهم يتسلمون الدروع وشهادات التقدير ، ذلك النصر العظيم الذي تمثل في كسر الحصار العلمي على غزة إلى أبد الآبدين وفتح آفاقه واسعةً رحبةً للعلماء الفلسطينيين لكي يتفننوا ويبدعوا فيها بلا قيود أو محددات.

وكان مسك الختام لهذه الجلسة التاريخية القصيدة التي ألقاها المؤلف على مسامع الحاضرين ، وكان لها فعل السحر ، لأن الشاعر وجمهور المستمعين من العلماء كانوا مبهورين بغزة ، مبهورين بنضالها ، وبشموخها ، وبدموعها ، وبمعاناتها ، ومبهورين فوق كل ذلك بنظرتها المتفائلة إلى المستقبل ، وبحشدها لكل الطاقات بما فيها الطاقات العلمية والتكنولوجية لبناء حياة حرة كريمة لكل المناضلين والمظلومين فيها.

غزة

كيف الخلاص وغزة تخنق
أكباد أطفالها مزقاً تمزق
دماء نسائها تراق وتهرق
عظام شيوخها دقيقاً تسحق
أين النخوة؟ الكرامة تشنق
بيوتها تدك دكاً وتحرق
حقولها تجرف زيتونها يعزق
لا كلب ينبح ولا حمار ينهق
ولا شجر فوقه غراب ينعق
كل ما فيها موته محقق
كيف الخلاص وغزة تحرق؟
أبعد المخصب غزة تورق؟
أبعد المنضب تزهر وتئنق؟
كفوف عارنا تلوح تصفق
عيون ذلنا بلا حياء تحدق
ونذير شؤمنا شامتاً يلقلق
ينافق وله نمجد ونصدق

كيف الخلاص وغزة تخنق؟
ليت حروفنا قنابل تطلق
ودموعنا وابل فسفور يتدفق
وكل ما فينا يدوس ويخزق
أعزة صواريخ شممك تمرق
كالشهب تساقط تفتك وتخرق
كفاها، للشموخ شمس تشرق
كيف الخلاص وغزة تخنق؟
ما القمم إلا كلام منمق
وما السلام إلا حلم أحمق
يذبحون فكهين ونتودد ونتملق
وحول موائد الذل نتحلق
وبخيط الخصم الحكم نتعلق
لك الله المقتدر القسط المطلق
ولنا بشاراته اللاتي ستتحقق
ولشر صهيون ستبيد وتمحق
وعده حق آت صادق مصدق
ووعدهم باطل مكذوب أخرق
غداً راياتنا في القدس تخفق
غداً يجف الدمع غداً الحق ينطق

(١٥)

مسجد الشيخ أحمد يسن

ذهب المشاركون في المؤتمر من المسلمين لتأدية صلاة الجمعة في مسجد الشيخ أحمد يسن في حي الصبرة بغزة بتاريخ ٢٠١٢/٢/٢٧م. قد يسأل القارئ من هو الشيخ أحمد يسن وما هي حكاية هذا المسجد ؟ الإجابة هي أن الشيخ أحمد يسن ولد في عام ١٩٣٦م في قرية (الجورة) من قضاء مدينة المجدل عسقلان. كان في العاشرة من عمره عندما كان البريطانيون يقومون بجلب اليهود من كل أصقاع الأرض ليؤسسوا بالسطوة والقوة دولة للعدو الإسرائيلي في الأرض الفلسطينية. ومع حلول النكبة هاجر مع أسرته الفقيرة إلى قطاع غزة ولم يمكث فيه طويلاً حتى تعرض في العام ١٩٥٢م لحادث وهو يمارس الرياضة على شاطئ البحر، مما أدى إلى إصابته بشلل شبه كامل في جسده، تطور لاحقاً إلى شلل كامل، ولم يثنه ذلك عن مواصلة تعليمه ليعمل فيما بعد مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية في مدارس وكالة غوث اللاجئين بالقطاع (الأونروا). شهدت فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين تنامي الشعور القومي وبلوغه مداه وسط الشعوب العربية ، أما الحكومات العربية فقد كان لها شأن آخر. لم يغادر المجاهد أحمد يسن القطاع كما فعل غالبية رجالات الحركة الإسلامية لقناعته الشخصية بأن على أرض فلسطين ما يستحق الحياة والجهاد ولذلك قامت السلطات المصرية التي كانت تشرف على القطاع باعتقاله بتهمة الانتماء لجماعة الأخوان المسلمين. حين بلوغه سن العشرين بدأ المجاهد أحمد يسن نشاطه السياسي بالمشاركة في المظاهرات التي اندلعت في غزة احتجاجاً على العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦م

، وحينها ظهرت مواهبه وقدراته الخطابية والتنظيمية الملموسة ، حيث استطاع مع رفقاء دربه أن ينشط الدعوة إلى رفض الإشراف الدولي على غزة مؤكداً على ضرورة عودة القطاع إلى الإدارة المصرية. لم تتحمل المخابرات المصرية سطوع هذا النجم الجديد وسط الدعاة في غزة فقررت في العام ١٩٦٥م اعتقاله ضمن حملة الاعتقالات التي شهدتها الساحة السياسية المصرية ، والتي استهدفت كل من سبق اعتقاله من جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م ، وظل حبيس الزنزانة الانفرادية قرابة شهر ثم أفرج عنه بعد أن أثبتت التحقيقات عدم وجود علاقة تنظيمية بينه وبين الإخوان ، وقد تركت فترة الاعتقال تلك في نفسه آثاراً عميقة لخصها بقوله "إنها عمقت في نفسه كراهية الظلم ، وأكدت أن شرعية أي سلطة تقوم على العدل وإيمانها بحق الإنسان في الحياة بحرية".

بعد هزيمة ١٩٦٧م التي احتلت فيها إسرائيل كل الأراضي الفلسطينية بما فيها قطاع غزة استمر أحمد ياسين في إلهاب مشاعر المصلين من فوق منبر مسجد العباسي الذي كان يخطب فيه محرضاً على مقاومة المحتل ، وفي الوقت نفسه نشط في جمع التبرعات ومعاونة أسر القتلى والمعتقلين ، ثم عمل بعد ذلك رئيسا للمجمع الإسلامي في غزة. في عام ١٩٨٧م اتفق مع مجموعة من قادة العمل الإسلامي في قطاع غزة على تكوين تنظيم إسلامي بغية تحرير فلسطين أطلقوا عليه اسم " حركة المقاومة الإسلامية " المعروفة اختصارا باسم "حماس". بدأ دوره في حماس بالانتفاضة الفلسطينية الأولى التي اندلعت آنذاك والتي اشتهرت بانتفاضة المساجد ، ومنذ ذلك الحين وهو يعتبر الزعيم الروحي لحركة حماس. ولعل هزيمة ١٩٤٨م (النكبة) من أهم الأحداث التي رسخت في ذهنه وجعلته على قناعة تامة بإنشاء مقاومة فلسطينية في وجه الاحتلال الإسرائيلي ، فهو يرى

ضرورة تسليح الشعب الفلسطيني والاعتماد على السواعد الوطنية المتوضئة وكذلك على البعد العربي والإسلامي في تحرير فلسطين إذ لا يرى أية جدوى في الاعتماد على المجتمع الدولي في تحرير الأرض الفلسطينية. وكما يقول "لقد نزعت الجيوش العربية التي جاءت تحارب إسرائيل السلاح من أيدينا بحجة أنه لا ينبغي وجود قوة أخرى غير قوة الجيوش ، فارتبط مصيرنا بها ، ولما هزمت هزمنا وراحت العصابات الصهيونية ترتكب المجازر والمذابح لترويع الآمنين ، ولو كانت أسلحتنا بأيدينا لتغيرت مجريات الأحداث " ، وحركة حماس هي امتداد لحركة الإخوان المسلمين العالمية التي مقرها الرئيسي في جمهورية مصر العربية ، ومؤسسها هو الشيخ حسن البنا الذي تم اغتياله على يد الحكومة المصرية في عهد الملك فاروق في فبراير ١٩٤٩م.

بعد ازدياد العمل النضالي ضمن الانتفاضة الأولى بدأت السلطات الإسرائيلية التفكير في وسيلة لإيقاف نشاط أحمد ياسين فداهمت بيته في أغسطس ١٩٨٨م وفتشته وهددته بالنفي إلى لبنان. وعند ازدياد عمليات قتل الجنود الإسرائيليين ، وتصفية العملاء المتعاونين مع المحتل الصهيوني قامت سلطات الاحتلال يوم ١٨ مايو ١٩٨٩م باعتقاله مع المئات من أعضاء وكوادر وقيادات حركة حماس ، وصدر في ١٦ أكتوبر الأول ١٩٩١م حكم يقضي بسجنه مدى الحياة إضافة إلى ١٥ عاماً أخرى بسبب تحريضه على اختطاف وقتل الجنود الإسرائيليين وتأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس.

حاولت مجموعة فدائية تابعة لكتائب عز الدين القسام (الجناح العسكري لحركة حماس) الإفراج عنه وعن مجموعة من المعتقلين في السجون الإسرائيلية بينهم مرضى ومسنين ومعتقلين عرب اختطفتهم قوات إسرائيلية من لبنان فقامت بخطف جندي إسرائيلي قرب القدس

يوم ١٣ ديسمبر لعام ١٩٩٢م وعرضت على إسرائيل مبادلته نظير الإفراج عن هؤلاء المعتقلين ، لكن السلطات الإسرائيلية رفضت العرض وقامت بشن هجوم على مكان احتجاز الجندي مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة الإسرائيلية المهاجمة وقائد مجموعة الفدائيين.

أطلق سراح الشيخ ياسين في فجر يوم الأربعاء ١٩٩٧/١٠/١م وأبعد إلى الأردن بعد ثمانية أعوام ونصف من الاعتقال بتدخل شخصي من العاهل الأردني الراحل الملك حسين بن طلال بعد عملية فاشلة قام بها الموساد لاغتيال رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل في العاصمة الأردنية عمان أثارت غضب الحسين الذي طالب بالإفراج عنه مقابل إطلاق عميلين للموساد الإسرائيلي تم توقيفهما في الأردن. بسبب اختلاف سياسة حماس عن سياسة السلطة كثيراً ما كانت تلجا السلطة للضغط على حماس ، وفي هذا السياق فرضت السلطة الفلسطينية أكثر من مرة على زعيم حماس الإقامة الجبرية مع إقرارها بأهميته للمقاومة الفلسطينية وللحياة السياسية الفلسطينية.

في ١٣ يونيو ٢٠٠٣م أعلنت المصادر الإسرائيلية أن ياسين لا يتمتع بحصانة وأنه عرضة لأي عمل عسكري إسرائيلي ، وفي ٦ سبتمبر ٢٠٠٣م تعرض لمحاولة اغتيال إسرائيلية عندما قامت المقاتلات الإسرائيلية من طراز (إف ١٦) بإلقاء قنبلة زنة ربع طن على أحد المباني في قطاع غزّة التي كان متواجداً فيها هو ورفيقه إسماعيل هنية ، فأصيب بجروح طفيفة جرّاء القصف وأعلنت الحكومة الإسرائيلية بعد الغارة الجوية أن أحمد ياسين كان هو الهدف الرئيسي من العملية الجوية.

صورة من مقابلة له مع قناة المجد التلفزيونية قبل مقتله بأقل من أسبوع.

تم اغتيال الشيخ أحمد ياسين من قبل جيش العدو الإسرائيلي وهو في سن السبع وستين بعد مغادرته مسجد المجمّع الإسلامي الكائن في حي الصّبرة في قطاع غزة - (الذي حمل اسمه بعد مقتله) - بعد أدائه لصلاة الفجر في يوم ١ صفر ١٤٢٥ه الموافق ٢٠٠٤/٣/٢٢م بعملية أشرف عليها رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أرئيل شارون بنفسه ، حيث قامت مروحيات الأباتشي الإسرائيلية بإطلاق ثلاثة صواريخ تجاهه وهو في طريقه إلى سيارته يدفعه مساعدوه على كرسي متحرّك ، اغتيل في لحظتها ومعه اغتيل سبعة من مرافقيه وجُرح اثنان من أبنائه.

لكل هذه الأسباب أصبح هذا المسجد رمز من رموز النضال الفلسطيني ، وأصبح مصدر رعب وخوف للعدو الإسرائيلي ، أراد هذا العدو بجريمته النكراء تلك بقتله لهذا الشيخ المقعد الجليل ، الذي يعاني بالإضافة إلى الشلل التام من أمراض عديدة ، منها فقدان البصر في العين اليمنى بعدما أصيبت بضربة أثناء جولة من التحقيق على يد المخابرات الإسرائيلية فترة سجنه ، وضعف شديد في قدرة إبصار العين اليسرى ، والتهاب مزمن بالأذن ، وحساسية في الرئتين وبعض الالتهابات والأمراض الرئوية الأخرى ، بهذه الطريقة البربرية التي لا تقبلها الفطرة البشرية السليمة ، وفي بيت من بيوت الله ، وفي وقت من أحب الأوقات إلى الله ، أن يطفئ جذوة من جذوات النضال الفلسطيني ، صحيح نجح في أن يغيب الجسد ، ولكن نسي بغباوته وبلادته أن الأجساد مصيرها الفناء العاجل أم الآجل ، وأن الأرواح هي التي تبقى لتلهب الحماسة والحس والشعور الوطني لدى الشعب الفلسطيني ولتزيده إيماناً على إيمانه القاطع الذي لا يداخله شك مطلقاً بأن هذه هي البدايات التي تبشر بأن النصر قريب. وقد عبر كثير من الشعراء عن شخصية الشيخ ورثاه كثير منهم في قصائد متعددة ومنها هذه الأبيات من قصيدة بعنوان " لم يقتلوك" للشاعر الفلسطيني موسى أبو جليدان:

لم يقتلوك وإنما في الخلد يا رمز التألق أسكنوك

لم يقهروا فيك الإباء ولو بأطنان الإبادة أمطروك

إن مزقوا الجسد القعيد ففكرك الوضاء رسخه بنوك

هذا ممات الشامخين فنم قرير العين لا لم يهزموك

لم تنته قصة هذا المسجد بعد ، وكيف لها أن تنتهي وفيه يؤم المصلين في كل جمعة المستعين بالله دولة رئيس الوزراء الشيخ المجاهد إسماعيل هنية. في تلك الجمعة المشهودة التي أرخنا لها أعلاه رأينا هذا الشيخ الجليل يقف على المنبر مرتدياً ثوباً بسيطاً وعباءةً وطاقية ، ما رأينا طلعةً أبهى من طلعته ، ما رأينا عزةً أسمى من عزته ، ولا ثباتاً أقوى من ثباته ، ولا شموخاً أسمى من شموخه ، وما سمعنا كلاماً بعد كلام الله وحديث رسوله ومن بعده صحابته الأخيار أصدق أو أحلى من كلامه.

صورة لدولة رئيس الوزراء الشيخ إسماعيل هنية وهو يخطب خطبة الجمعة في أحد المساجد

بعد أن حمد الله وأثنى على رسوله الصادق الأمين ورحب بضيوف غزة من علماء الأمة العربية الذين تنادوا إليها من كل حدب وصوب لكي يكسروا الحصار الغاشم ، تحدث لنا بحديث أثلج الصدور وشحذ

الهمم ، تحدث عن مؤامرات العدو الإسرائيلي ، وعن حصاره لغزة ، وكيف أنه بدلاً من أن يستمر حصارهم ويضيق على غزة حاصرهم الله ودمرهم هم وقومهم وحلفاءهم أجمعين ، دمرهم دماراً سياسياً وإعلامياً وأخلاقياً ومعنوياً وبث فيهم الرعب والتشتت والتمزق. وذكر المصلين بأن ما نعيشه من أيام ، هي أيام من أيام الله تعرض فيها العدو لأربع موجات عاليات ، الموجة الأولى الحرب على غزة ، خرجوا من أجل تدمير غزة وتقويض مكانتها بين الأمم وإسقاط الحكومة الشرعية وضرب وتقويض قواعد المقاومة فيها فكانت الحرب موجة عاتية فضيحة كبرى للاحتلال الصهيوني ، والموجة الثانية تقرير غولدستون ، هذا التقرير الذي صاغه يهودي ينتمي للديانة اليهودية ، كان التقرير فضيحة لهذا الاحتلال لعدوانيته وسياساته ولأولئك الذين حاولوا أن يغيبوا التقرير عن طاولة التداول العالمي ، ثم جاءت الموجة الثالثة اغتيال الشهيد المجاهد محمود المبحوح التي دبروها في سرية تامة وكانت يد الله تعمل ضدهم في الخفاء ، يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ففضحهم وهتك سرهم ونجواهم ، وآخر هذه الموجات كانت قافلة الرحمة ، واحدة من قوافل الحرية ، قوافل الإنسانية التي جعلت فك الحصار عن غزة مطلباً شعبياً عالمياً ، وجعلت الحصار يتآكل كما تآكلت صحيفة حصار شعب أبي طالب بفعل الأرضة أضعف مخلوقات الله. حاصروا غزة ليغيبوها عن الخارطة ويجعلوها في غياهب النسيان ، حاصروها ليضربوا مشروع الإسلام وتحرير الأقصى ومشروع المقاومة ، ولكن غزة التي لا تتجاوز الكيلومترات أصبحت هي الفاضحة للاحتلال وأعوانه ومن يتواطأ معه. ثم أكد أن المقاومة هي الطريق الأوحد نحو القدس ، وأن المفاوضات مع الاحتلال فاشلة ، وأن الشعب الفلسطيني جرب المفاوضات على مدار أكثر من عشرين عاماً ، وقدم التنازلات ، وبحث عن السلام المزعوم ، وتأكد له من كل ذلك أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

التف كل المصلين حول رئيس الوزراء المجاهد عقب الصلاة ، وتبادل العلماء والخطباء الكلمات وهو يستمع إليهم في إصغاء وتدبر تام بلا كلل أو ملل ، لقد كان بقدر إحسانه وإتقانه لفن الكلام من الذين يحسنون ويتقنون فن الاستماع. كانت أحاسيسنا في تلك الساعة بأنا لم نعد كما كنا ، وأنا في زمان غير الزمان الذي نعيش فيه ، وفي أرض غير الأرض التي نعرفها ونمشي عليها ، تبدلت كل الأشياء فينا ، تالله لو قال لنا في تلك اللحظة خوضوا البحر لخضناه ولو قال لنا أزيلوا تلك الأسوار التي يقتطع بها العدو الإسرائيلي الأرض الفلسطينية حسب هواه لأزلناها غير عابئين بأسلاكه الشائكة وحقول ألغامه وقناصته ، ولكنا نعلم علم اليقين أنه لكل أجل كتاب وأن أجل الله لا محالة آت.

(١٦)

مع رمز المقاومة

حسب جدول البرنامج المصاحب للمؤتمر المحدد لنا سلفاً توجهنا مباشرةً من مسجد الشهيد الشيخ أحمد يسن نحو منزل دولة رئيس الوزراء الشيخ (أبو العبد) لحضور مأدبة الغداء المقامة لنا هناك ، دلفت بنا الحافلة في شارع جانبي ضيق يفصل بين بيوت مخيم الشاطئ ، لمحنا في أول الطريق حاجزاً مرورياً واحداً يقف على طرفه شرطي واحد ، وبعد دقائق معدودات ترجلنا من على الحافلة بعد أن وقفت بنا أمام بيت عادي مكون من عدة غرف أرضية يعلوها طابق واحد ما فيه ما يميزه عن بقية البيوت من حوله من ناحية الشكل أو اللون ، ولم نلحظ مظهراً واحداً من مظاهر الخصوصية التي تتمتع بها منازل أهل السلطة أو الجاه أو المال ، والذي دلنا على ذلك أن أطفال المخيم كانوا يلعبون ويتسابقون في حرية تامة أمام المنزل غير مكترثين له ولا لقاطنيه ولا بما يجري حولهم من حركة غير عادية.

استقبلنا عند مدخل المنزل دولة رئيس الوزراء بسمته الفارع الطول ، وبوجهه الصبوح ، وبابتسامته المشرقة التي لا تفارقه أبداً مهما كانت الظروف ومعه أفراد من أسرته وربعه ، تبادل معنا التحيات والكلمات الطيبات في سخاء منقطع النظير ، ثم أجلسنا من حوله على كراسي جلوس وثيرة وضعت في نسق جميل تحت سقف سقيفة مسقوفة بألواح من الزنك الأمريكي تتدلى منها ست مراوح ، كانت ساكنةً لا تدور لأن الفصل شتاءً والبرد القارس يلفح الوجوه ، أرضية السقيفة مبلطة بالبلاط الذي تبلط به البلديات أرصفة الشوارع. عرّفنا بنفسه أولاً وهو الغني عن التعريف ، ثم عرّفنا بالأشخاص الذين كانوا يجلسون بقربه وجلهم من أفراد عائلته ، ثم أعطى الفرصة لكل واحد من الحاضرين ليعرف بنفسه ووطنه.

في تلك اللحظات كانت وجوه العلماء تعكس حيرتهم ، وتعكس حقيقة ما كان يدور من أسئلة في داخل نفوسهم بحكم أنهم علماء ، والعلماء مهووسون بحب الاستطلاع والملاحظة وإثارة الأسئلة والبحث عن إجابات لها ، هل هم في يقظة أم في منام ؟ هل هم يعيشون في العشر الأول من القرن الأول الهجري أم في القرن الرابع عشر الهجري ؟ هل عقولهم في كامل وعيها أم أصابها خبل ؟ تحركت هذه الأسئلة فيهم وهزت عقولهم بعنف لأن عالم اليوم الذي يعيشون فيه بقيم حضارته المادية التي تعبد وتقدس الدرهم والدولار والمتع الحسية الرخيصة رسخ في أذهانهم صوراً نمطية معينة جعل حدوثها مرتبط مع كل حدث بقيمة احتمالية عالية ، ولذلك بما أن الحدث الماثل أمامهم هو زيارة منزل رئيس وزراء فمن المتوقع لهم أن يروا قصراً رئاسياً منيفاً ، تحفةً من تحف المعمار و بديع هندسة البناء ، تحفه حدائق غناء بأشجار زاهية مجلوبة من كل بقاع الدنيا ، وأرضه مغطاة بسندس أخضر من عشب النجيل الناعم ، والنوافير الجميلة في أشكال بديعة تطل من هنا وهناك ، وحبيبات الماء تخرج منها وتعود إليها في أنساق عجيبة ، والثريات والقناديل المضيئة ليلاً ونهاراً تضفي سحراً جذاباً على المكان ، والحراس بخوذاتهم المهيبة وأزيائهم العسكرية المزينة بالأشرطة الملونة والنياشين يحرسون المداخل والمخارج ، وخدام الضيافة يجيئون ويروحون في ثياب فضفاضة وهم يحملون أصنافاً نادرة وغالية الثمن من الشراب البارد. ولكن ماذا كان يرى هؤلاء العلماء في تلك اللحظة عوضاً عن ذلك ؟ كانوا يرون بيتاً أقل من عادي ، كانوا يرون أشخاصاً عاديين يتحركون في حركة عادية ، كانوا يحسون بأنوار السعادة الحقيقة تشع من كل الوجوه ، وكانوا يقرؤون كلمات معلم البشرية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأفضل التسليم

مخطوطة في ثنايا ابتسامات دولة رئيس الوزراء " مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها ".

هذه الانطباعات المليئة بالمفارقات أملت علينا أن نغوص في أعماق حياة هذا الرجل علها تسلط عليه الضوء وتعيننا في تفسير كل ما رأينا وشاهدنا في غزة مما لا يتفق ومنطق العصر. ولد دولة رئيس الوزراء في ٢٩ يناير ١٩٦١م في مخيم الشاطئ للاجئين في غزة التي لجأ إليه والداه من مدينة عسقلان عقب النكبة في ١٩٤٨م. منذ أن كان تلميذاً صغيراً في المدرسة كانت هوايته المفضلة ممارسة لعبة كرة القدم مع أقرانه. توفى والده وهو صغير وهو الشقيق الوحيد لثمان أخوات. تعلم في رحاب الجامعة الإسلامية في غزة وكان نشطاً في إطار لجنة الطلاب النى ترأسها لمدة عامين وتخرج منها في عام ١٩٨٧م بعد حصوله على درجة البكالوريوس بتقدير جيد جداً في الأدب العربي. سجنته السلطات الإسرائيلية عام ١٩٨٩م لمدة ثلاث سنوات نفي بعدها إلى مخيم مرج الزهور في الجنوب اللبناني ، وفي عام ١٩٩٢م وبعد قضائه عاماً في المنفى عاد إلى غزة إثر اتفاق أوسلو وتم تعيينه عميداً في الجامعة التي تخرج فيها.

في عام ١٩٩٧م جرى تعيينه رئيساً لمكتب الشيخ أحمد يسن الزعيم الروحي لحركة حماس. في العام ٢٠٠٣م وبعد إحدى العمليات الاستشهادية حاولت غارة للعدو الإسرائيلي استهداف قيادة حماس وجرح على إثرها في يده. تعزز موقعه في حركة حماس خلال انتفاضة الأقصى بسبب علاقته بالشيخ أحمد يسن وبسبب اغتيالات العدو الإسرائيلي التي طالت قيادات الحركة. في ١٦ فبراير٢٠٠٦م رشحته حماس لتولي منصب رئيس وزراء فلسطين وجرى تعيينه في العشرين من ذلك الشهر بعد فوز حماس بأغلبية مطلقة في انتخابات

المجلس التشريعي الفلسطيني. في ٣٠ يونيو ٢٠٠٦م هددت حكومة العدو الإسرائيلي باغتياله ما لم يفرج عن الجندي الصهيوني الأسير جلعاد شاليط. في ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٦م عشية إنهاء القتال بين فصائل فتح وحماس تعرض موكبه لإطلاق نار في غزة وأحرقت إحدى السيارات ولكنه لم يصب بأذى. في ١٤ ديسمبر ٢٠٠٦م منع من الدخول إلى غزة من خلال معبر رفح بعد عودته من جولة دولية لأن المراقبين الأوربيين أغلقوا المعبر بأمر من وزير أمن العدو الإسرائيلي عمير بيرتس. في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٦م تعرض لمحاولة اغتيال فاشلة بعد إطلاق النار على موكبه لدى عبوره معبر رفح الأمر الذي أدى إلى مقتل أحد مرافقيه وإصابة خمسة آخرين من بينهم نجله عبد السلام ومستشاره السياسي أحمد يوسف.

في ١٤يونيو ٢٠٠٧م تمت إقالته من منصبه كرئيس وزراء من قبل رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس وذلك بعد سيطرة كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس على مراكز الأجهزة الأمنية في قطاع غزة ولكنه رفض القرار باعتباره غير دستوري ووصفه بالمتسرع مؤكداً أن حكومته ستواصل مهامها ولن تتخلى عن مسؤولياتها الوطنية تجاه الشعب الفلسطيني.

في ٢٥ يوليو ٢٠٠٩م وفي أثناء حفل تخرج الفوج الثامن والعشرين في الجامعة الإسلامية بغزة منحته إدارة الجامعة شهادة الدكتوراه الفخرية ووسام الشرف من الدرجة الأولى تقديراً لجهوده في خدمة القضية الفلسطينية.

خلال مسيرته العملية والعلمية والسياسية تولى الكثير من المناصب ، رئيس نادي الجمعية الإسلامية بغزة لمدة عشر سنوات ، عضو الهيئة الإدارية العليا للجمعية الإسلامية سابقاً ، عضو القيادة السياسية لحركة

حماس ، مدير مكتب الشيخ أحمد يسن ، عضو لجنة المتابعة العليا للانتفاضة ممثلاً عن حركة حماس ، عضو لجنة الحوار العليا للحركة والفصائل الفلسطينية مع السلطة الفلسطينية ، عضو مجلس أمناء الجامعة الإسلامية سابقاً ، مدير الشؤون الأكاديمية في الجامعة الإسلامية سابقاً ، مدير الشؤون الإدارية في الجامعة الإسلامية سابقاً ، أمين سر مجلس أمناء الجامعة الإسلامية بغزة سابقاً ، وأخيراً رئيس وزراء السلطة الفلسطينية وتتولى حكومته حالياً إدارة قطاع غزة.

من أقواله الشهيرة التي تؤكد مدى صلابته في قول الحق ومدى وضوح رؤيته للطريق الذي سوف يسلكه وصولاً إلى تحقيق كل الأهداف التي يرى بعقله الثاقب أنها سوف تؤمن للشعب الفلسطيني الحياة الحرة الكريمة:

- "أنا شخصياً بصفتي رئيساً للوزراء أتشرف بالانتماء إلى حركة المقاومة الإسلامية حماس ".
- "بصفتي رئيساً للوزراء أتشرف بالعيش في مخيم الشاطئ للاجئين ".
- "لن نعترف ، لن نعترف ، لن نعترف بإسرائيل ".
- في خطابه في الذكرى الواحد وعشرين لانطلاقة حركة حماس : "سقطت يا بوش ولم تسقط قلاعنا ، سقطت يا بوش ولم تسقط حركتنا ، سقطت يا بوش ولم تسقط مسيرتنا ".
- "لن يَسقط السلاح ، ولن تُخترق الحصون ، ولن يَخطفوا منا المواقف بإذن الله تعالى. "

- " شرعية الحكومة الثانية هي الشرعية الجهادية لأنها حكومة ولدت من رحم المقاومة ، من رحم الشهداء ، نحن حكومة ولدت على مسار الشهداء وإيقاع الدماء ، نحن حكومة جاءت على وحي وإرادة المقاومة والجهاد ضد الاحتلال الصهيوني. "
- " إن نضال الفلسطينيين سيستمر حتى تحرير كامل الأراضي الفلسطينية بما فيها القدس وعودة كل اللاجئين الفلسطينيين المبعدين عن وطنهم. "
- " ما أحوجنا نحن العرب إلى بناء جيل فريد ، يؤمن بحقه وكرامته ، وبالجهاد وتحرير القدس ، نعم وقفنا بقوة أمام الحصار وكنا أوفياء للأمانة ولم نبع فلسطين بدراهم معدودة ، نعم وقفنا بصلابة وانكسر الحصار ، لكنني أقول لكم بأن الحصار ما زال يضرب أسر الشهداء ، هناك في مخيم الصمود تجد بيوتاً لا تضئ فيها شمعة وبيوتاً لا تجد ما تقتات به. "

قام دولة رئيس الوزراء بوداعنا وصافحنا بيديه الكريمتين ووضع على كتف كل منا شالاً من الشال الفلسطينية الشهيرة ممهورةً بإمضائه الكريم. ومع خروجنا من باب داره داعبتنا نسمات الشتاء الباردة التي اختلطت بزخات المطر ، ولاحظنا أن الشوارع صارت مبتلة وأن غزة ارتدت حلةً جديدة قشيبةً أجمل من كل حللها التي كانت تتزين بارتدائها لأجلنا في الأيام السابقة. أغرانا كل ذلك السحر المفعم بالإدهاش بالذهاب للتجوال في أسواقها مع أن اليوم يوم جمعة وعادةً ما تكون فيه معظم المحال التجارية مغلقة. دخلنا واحدةً من كبريات أسواقها

المركزية ، وما خطر ببالنا شيء مما قل شأنه أو كبر من المواد الغذائية الطازجة أو المعلبة أو الأواني المنزلية أو خلافها من مستلزمات الأسرة ، المستوردة من معظم أنحاء الدنيا إلا ورأيناها على الأرفف أو مصفوفةً على البلاط. ثم دخلنا محلاً لبيع الأناتيك التذكارية لسياح وزوار غزة ، وأعجبني فيه تذكاران ، علاقة للمفاتيح مثبتة على حجر صغير من حجارة بيت المقدس وهذا الحجر مزين بنقوش بارزة ملونه تمثل قبة الصخرة ، والآخر هو تلك المسبحة الصندلية اللون العنبرية الرائحة التي ذكرتني حينما شممتها بيت المقدس فحملتني الأشواق والحنين إلى هناك ، إلى مسرى رسولنا الكريم ومكان عروجه ، إلى أولى القبلتين وثاني مسجدين وضعا للناس في الأرض ، إلى ذلك المنزل المبارك الذي تضاعف فيه الحسنات وتغفر فيه الذنوب.

(١٧)

سماحة إنسان غزة

قطاع غزة محاصر بالكامل من قبل العدو الصهيوني ، المعابر والحواجز والموانع ما هي إلا أبواب لسجن كبير مفاتيحها بيد العدو يفتحها ويغلقها متى ما أراد ، السماء فضاء حر لطائراته الحربية ومروحياته التي تراقب الغاديين والرائحين ولا تتوانى أو تتورع عن إطلاق صواريخها ورمي قنابلها الفتاكة عليهم ، مدافع الميدان طويلة المدى ومدافع الدبابات نصبها على مرمى حجر من حدوده الوهمية مع غزة ولا يتردد عن إطلاق قذائفها العشوائية متى شاء. هذا الوضع المريب أراد له العدو أن يكون مصدراً دائماً للخوف والتوتر والقلق لنفوس أهل غزة ، في عرفه أنه ليس في حالة حرب ولا سلم وإنما في حالة تهدئة هشة مفتاحها بيده هو فقط ، يخرقها وقتما يتعطش لسفك دماء جديدة ، كم مرة قام هؤلاء الصهاينة مصاصي الدماء الجدد في طرفة عين بتحويل أجساد أمهات كن يمشين في الطريق في سكينة ووداعة يحملن أطفالهن إلى المستشفى إلى رماد ، كم مرة حولوا أجساد تلاميذ صغار كانوا يحملون في براءة خبز إفطارهم وكتبهم وكراريسهم إلى فحم بعد دقائق معدودات من وداعهم لأمهاتهم ومفارقتهم لعتبات دورهم ، كم مرة حولوا أجساد المارة في الشوارع إلى أشلاء متناثرة بلا وازع من ضمير أو دين أو قيم ، ماذا بربكم نتوقع من نفوس معقدة مريضة مسكونة باللعنة ؟ علينا أن نتوقع منهم أن يفعلوا أشنع وأبشع من كل ما فعلوه ما دام السياسيون في أمريكا وأوروبا وروسيا يخافون من ضغائنهم ودسائسهم وفجورهم إن جاهروهم بكلمة الحق.

ورغماً عن كل هذه الابتلاءات أثبت لنا إنسان غزة إنه مقبل على الحياة مثلما هو مقبل على الموت ، ديدنه إما أن يحيا بشرف وكرامة أو يموت شهيداً ، إنها إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة. مواكبهم الهادرة المكبرة ما فتئت تزف شهداءهم إلى ما ينتظرهم من نعيم و حور عين ، ومواكبهم المبتهجة الطروب ما فتئت تجوب الطرقات وتدخل قصور الأفراح زافةً بالأغاني والزغاريد كل عريس إلى عروسه ، ومواكب الفلاحين ما فتئت في منتهى السعادة تحمل المعاول لتزرع الشتل وتبذر البذور. الشمس تشرق كل صباح على غزة ، والمطر ينهمر كل شتاء ، والحياة تدور كما أراد الله لها أن تدور ، اذا استطاع العدو الصهيوني أن يحجب الشمس ، ويوقف المطر ، ويمنع دوران الحياة نقول له أنك فعلاً شعب الله المختار الذي يستطيع أن يقهر غزة الأبية العصية المقاومة.

أثبت لنا إنسان غزة أنه بطبعه لطيف أنيس ودود رغم كل ما تعرض له وما يتعرض له من عدو لا يخشى في الله لومة لائم ، كل الذين تعاملنا معهم خلال أيام المؤتمر كانوا شباباً أنيقين يلبسون الزى العصري المتأثر بالزي الغربي المكون من البنطال والجاكت ، كانوا يعاملوننا باحترام وإلفه ومحبة كأنهم يعرفونا منذ زمن طويل ، علمتهم حياتهم القاسية المليئة بالمفاجآت المرة كيف يكونون منضبطين في سلوكهم ومواعيدهم فهم يعلمون أنهم أينما ساروا يحملون أرواحهم بين كفوفهم لأن رصاص العدو الغادر لهم بالمرصاد ، ومعظم الذين تعاملنا معهم في الأسواق من كبار السن كانوا يلبسون الزى الفلسطيني التقليدي المكون من الكوفية والعقال والقنباز، كانوا بوجوههم التي خلفت السنون عليها خطوطاً ورموزاً وغضوناً وأخاديد غائرة يمثلون لنا الجيل الفلسطيني الطيب الذي عاصر النكبة ، ورأى المذابح

والتشريد والتهجير ، وذاق طعم المذلة والهوان ، كانوا يتناسون كل هذه الآلام بقلوب طيبة مؤمنة ويقبلون علينا في انشراح منقطع النظير ، فالحصار الجائر جعل من قطاعهم جزيرة روبنسون كروزو يغزوها آكلي لحوم البشر من الصهاينة من وقت لآخر.

الحصار فرض على أهل غزة الانكفاء على أنفسهم واستغلال مواهبهم وقدراتهم وإمكاناتهم المحدودة إلى أقصى درجة ممكنة ، ولذلك تفننوا وأبدعوا في صناعة عصر الزيتون والصابون الذي يعتمد على الزيت كمادة أولية ، وفي صناعة الفخار الذي يعتبر من أقدم الصناعات الفلسطينية ، وصناعة الغزل والنسيج والتطريز ، وصناعة البسط والزرابي من صوف الماشية ، وصناعة الأثاث المصنوع من الخيزران ، وصناعة الزجاج الملون.

أهل غزة مفطورون على التدين والتقرب إلى الله والرضاء بحكمه وقدره ، صابرون على كل الابتلاءات والامتحانات التي لحقت بهم منذ النكبة في ١٩٤٨م وحتى يومنا الحاضر ، كثير من أهلها من حفظة كتاب الله الذين تشربوا بروح ومعاني آياته وتربوا في كنف مائدته في بيوت الله المنتشرة في ربوع القطاع ، وكثير منهم نهلوا من معين نور العلوم الشرعية في المدارس الشرعية وكليات الدعوة الإسلامية ، ولذلك لم نسمع عنهم أبداً أنهم في يوم من الأيام ، مهما ضاقت عليهم حلقات البطش والإذلال ، كانوا في حالة من اليأس أو القنوط أو أتوا بفعل من الأفعال التي تغضب الله ورسوله. وما أجمل تلك العبارة الحلوة الجذلة التي كانت ألسنتهم تعزفها على مسامعنا كلما انتابهم الإحساس بضيق الحال أو عتمة الحاضر (الحمد لله على كل حال بكرة ربك يعدلها).

أحزان أهل غزة نازفة غائرة عميقة ، فمنهم من فقد أحباءه وأعزاءه ، ومنهم من فقد أرضه ، ومنهم من فقد بيته ، ومنهم من فقد ماله ، ومنهم من فقد عمله ، وفوق كل ذلك فقدوا وطنهم العزيز فلسطين. لم تمنعهم هذه الأحزان من حب العلم والشغف به ،إنهم يذهبون إلى شتى بقاع الأرض دانيها وقاصيها لينهلوا العلوم الحديثة ويعودوا مرةً أخرى إلى غزة ، إنهم يؤمنون بأن العلم والمعرفة الفنية التكنولوجية هما الرأسمال الوحيد الذي بقي لهم ، وأنهم إن أحسنوا استثماره سيأتي اليوم الذي يكونون فيه قادرين على استرداد كل حقوقهم المسلوبة ، لأن من سلبها استخدم الخسة والمكر والخديعة ، وحافظ على استلابها بالعلم الذي مكنه من أن يكون متفوقاً في العدة والعتاد الحربي.

(١٨)

آمال إنسان غزة

لم أواجه مشقة أو عنت في كتابة أي جزء من أجزاء هذا المؤلف مثلما لاقيت وأنا أحاول الاقتراب من هذه المنطقة الحساسة التي تمس جوهر الحياة الإنسانية ، والتي ظل الإنسان منذ بداية خلقه يكابد فيها صراعه بين الأمل في الحياة والموت ، بالكيفية التي جعلت حياته البشرية تستمر وتتطور مع يقينه بانتفاء فكرة خلوده في الأرض. نحن نعلم أن الآمال قد تختلف من فرد لآخر ، ومن مجتمع لآخر ، ومن أمة لأخرى ، عبر الزمان والمكان ، وخلال مراحل التطور المختلفة ، وبسبب قوة المؤثرات الداخلية والخارجية ، ولكن هناك آمال وطموحات عامة وثابتة لا تتزعزع يتفق عليها جميع البشر في كل أزمانهم وأحوالهم وهي الأمن والسلام والحرية. الفلسطينيون على وجه العموم وأهل غزة على وجه الخصوص تعرضوا منذ النكبة في العام ١٩٤٨م إلى عملية جهنمية شيطانية نفذها بنو صهيون ، وتواطأ معهم فيها بشكل مباشر الغربيون ، وأعانهم عليها بشكل غير مباشر الصامتون من الشعوب الأخرى بشكل لم يحدث له مثيل على مر التاريخ البشري ولا حتى في أكثر عصوره ظلمةً وحلكةً وشراً ، وما زالت حلقات هذه العملية في استحكام مستمر ، للدرجة التي جعلت أهل النهى من الناس يترحمون على الكلمات البراقة التي أفرغت من معانيها كالعدل والمساواة والحرية والديمقراطية والإنسانية ، وجعلتهم يؤمنون بفكرة أن المرحلة الحالية من الحياة البشرية ما هي إلا الانتكاسة التاريخية الأخيرة ، التي تشهد انحداراً أخلاقياً وقيمياً غير مسبوق للبشرية في الاتجاه المعاكس ، يفضي بها إلى نهاية التاريخ ، لأنه لن يأتي مدد من السماء ولا رسول بعد خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

سنحاول بقدر الإمكان أن نرصد آمال وتطلعات نماذج من شعوب العالم المختلفة في نهاية العام المنصرم ٢٠١١م ونقارنها بآمال وتطلعات الشعب الفلسطيني في غزة.

نبدأ أولاً بآمال وتطلعات الشعب الأمريكي الذي تساند حكومته بلا حدود حكومة العدو الإسرائيلي عسكرياً ومالياً وتكنولوجياً وسياسياً وإعلامياً ، وتشجعها على الاستمرار في العدوان بحجج واهية. آمالهم وتطلعاتهم تدور حول إعادة الثقة والتواصل بين المواطنين والمؤسسات العامة التي تم إنشاؤها لخدمتهم ، وأن يروا نموذجاً جديداً كلياً من الحياة السياسية والعامة يساعد في المضي قدماً نحو إعادة الثقة والمصداقية للمواطن الأمريكي ، ويساعد في استعادة الشعور بالثقة الذاتية عند المواطنين ، وأن يتخلى الأمريكيون عن اليأس وعدم الثقة والاستعاضة عنها بصورة جديدة للنفوس ، وجديدة للمجتمعات وللآمال المستقبلية ، وأن يقفوا للإعلان عن كل النوايا الإيجابية لخلق التغيير المنشود ، وأن يتخطى الأمريكيون مجموعة المشاكل العامة التي جعلتهم يشعرون أنهم غير قادرين على التغيير ، ولذلك تراجعوا عن الحياة العامة والسياسية ، وانسحبوا من ساحات العمل العام وأصبحوا غير قادرين على أن يعبروا عن أفضل نواياهم ، ويرى الأمريكيون أن هناك صراعاً داخل أمريكا وهناك تغييرات جوهرية بدأت ترسخ في الحياة الأمريكية ويتسآلون إلى أين سيؤدي بهم ذلك؟ ويبحث الأمريكيون اليوم عن أمل حقيقي انسجاماً مع واقع حياتهم اليومية وليس أملاً كاذباً ، ويرى بعض الأمريكيين أن على المجتمع الأمريكي أن يغير جذرياً الطريقة التي يعمل بها ويعود إلى الأساسيات ، ويرى بعض الأمريكيين ضرورة وضع إطار عملي يصف نقاط الارتكاز للتصرف في المال والسياسة ، ويستكشف النهج ، ويضع الشروط لإحداث التغيير للمضي قدماً إلى الأمام .

ثم نتطرق لآمال وتطلعات الشعب البريطاني الذي صنعت حكومته هذا الكيان الصهيوني العدواني الغريب الفريد وما زالت تحميه بكل ما أوتيت من قوة ، إنها تتمحور حول خفض الدين العام وإعادة الثقة للاقتصاد البريطاني ، وترسيخ مبادئ الحرية والعدالة ، وإصلاح نظم التعليم والبريد والشرطة والرعاية الاجتماعية ، والحد من هجرة البريطانيين للخارج بسبب ضعف الاقتصاد ونقص الوظائف والنتائج المحبطة للانتخابات الأخيرة ، وعدم زيادة الضرائب وعدم خفض الخدمات العامة ومحاربة التضخم ، ومعالجة معاناة البلاد من الانقسام الديني الحاد ، وتقديم الرعاية الكافية للجنود الذين أصيبوا بصدمات نفسية بعد الحرب في العراق وأفغانستان.

ثم نعرج على آمال وأحلام الشعب الياباني الذي بهرته التكنولوجيا الغربية التي امتلك ناصيتها ولم يعد يرى إلا ما يرى الغربيون ، وتتلخص آماله وتطلعاته في ألا تشهد اليابان المزيد من الكوارث والزلازل والمشاكل النووية ، وأن تشهد اليابان المزيد من التكاتف الأسري والتواصل الإنساني بين الناس ، وأن يهتم اليابانيون أكثر بصحتهم بعدم الإفراط في العمل والإرهاق وعدم النوم ، وأن يحافظ اليابانيون على ثقافتهم وتقاليدهم الاجتماعية ، وأن يحافظ اليابانيون على أسلوب التحديث دون التغريب باقتباس التكنولوجيا العصرية دون استيراد الثقافة الغربية ، وأن يحرص اليابانيون على وحدتهم الاجتماعية لروافد مجتمعهم الياباني ، وينظموا ويفعلوا الفعل الجماعي المقترن باعتماد الكفاءة المحلية وتفضيلها على الأجنبية لضمان تحقيق التنمية البشرية المستدامة في اليابان ، وأن يتصدى المجتمع الياباني لظاهرة نقص المواليد في اليابان.

أما آمال وتطلعات شعوب دول الخليج العربي التي تعتبر القضية الفلسطينية واحدة من قضاياها المحورية لأبعادها الإسلامية والعربية فنجدها تتمحور حول تحسين المؤسسات الثقافية والاجتماعية لتستجيب لمتطلبات التحولات الراهنة في مجتمعاتها ، وأن يكون مفهوم المواطنة بكافة معانيها هو أس العلاقة التي تربط بين الدولة والمواطن ، و إشراك الشباب وإشراك المرأة وتحقيق المساواة في الحقوق ، والقضاء على الطائفية من خلال تمكين كل المواطنين من حقوقهم التي توجبها القوانين وحقوق الإنسان ، وتأسيس جزيرة عربية واحدة تضم كل شعوب دول الخليج العربي ، وتأسيس مجلس شورى منتخب لدولة واحدة ، وتأسيس قوة عسكرية واحدة ، وبناء اقتصاد موحد بعملة واحدة ، وتأسيس وكالة فضاء واحدة ، وتأسيس صناعات للإلكترونيات والطائرات والسيارات موحدة ، ووضع مناهج تعليمية موحدة ، والعمل بنظم موحدة للعدالة والتعامل الإنساني.

ولن تكتمل الصورة بدون رصد آمال وتطلعات شعبي وادي النيل مصر والسودان. عانى الشعب المصري من العدو الإسرائيلي ما عانى ، وما زالت دسائس ومؤامرات هذا العدو تحاك ضده سراً وعلناً لكي يتخلى عن عروبته وتاريخه ، إنها تتمثل في أن تشهد مصر استقراراً سياسياً في المستقبل بعد انتصار ثورتها الشعبية على نظام مبارك المتسلط ، وأن تحل كل مشكلات الفقر المادي والجسدي والنفسي ، وأن تحل مشاكل البطالة للقادرين على العمل خصوصاً من خريجي مؤسسات التعليم العالي و مؤسسات التدريب الفني والمهني ، وأن تحل كل المشكلات المتعلقة بأزمة السكن ، وأن تتحسن السلوكيات العامة للمواطنين المصريين بعدم رميهم للقمامة على الشوارع ، وبعدم استخدام قائدي السيارات للألفاظ البذيئة في الشوارع ، والحد من ظاهرة العنف بين الناس ، ومحاربة الواسطة والمحسوبية في العمل العام داخل دواوين الدولة.

وكذلك عانى الشعب السوداني الكثير من مؤامرات العدو الإسرائيلي التي ظل يحيكها ضده ، من دعمه السخي المالي والمادي ، والتدريبي ، والتسليحي ، والمعلوماتي الاستخباراتي ، المنقطع النظير ، للحركات العنصرية والانفصالية والتخريبية في السودان ، ومن أعماله العسكرية المباشرة بضربه لأهداف عسكرية وغير عسكرية داخل الأراضي السودانية. وتتمثل آمال وتطلعات هذا الشعب في أن يرى بلده تنعم بالحرية والأمن والسلام ، وأن يكون فيها دستور مجمع عليه ، تتوازن فيه السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية ، وتكون لرئيس الجمهورية سلطات محدودة ، أن تتحقق العدالة الاجتماعية بين شرائح المجتمع السوداني المختلفة وتضيق الفوارق بينها ، أن يحس الشعب أن حكومته هي حكومة كل المواطنين لا تمييز بين من ينتمي ومن لا ينتمي للحزب الحاكم ، أن يلمس الشعب في حياته اليومية نتائج حقيقية للتنمية والاستثمار والتقدم والتطور ، أن يرى الشعب محاربةً جادة للفساد الإداري الذي يتجسد في المحسوبية والواسطة وعدم المحاسبة والمراقبة التي أدت إلى الإهمال والانحلال والجرأة على حقوق الناس، وأن يرى محاربةً جادة للفساد المالي الذي يتجسد في النهب المعلن والمستتر للمال العام ، وأن يرى الشعب محاربةً حقيقية للفقر والبطالة والغلاء وارتفاع الأسعار ، وأن يرى الشعب تصفيةً حقيقية للإمبراطوريات والإقطاعيات التي أوجدها الفاسدون داخل القطاع الحكومي وشبه الحكومي بأن صارت مرتعاً لأهلهم وبنو عمومتهم وأصدقائهم ، لا يريد الشعب قادةً جل همهم أن يصبحوا من رجال الأعمال ، لا يريد الشعب حكومةً لا يحس فيها العاملون بالأمن والأمان الاجتماعي قبل وبعد المعاش ، لا يريد الشعب حكومةً تقوم موازناتها السنوية على كاهل الشعب من ضرائب إضافية ورسوم جمركية ورسوم أخرى ما أنزل الله بها من سلطان تقوم سنوياً بابتداعها

واستنباطها السلطات المحلية والولائية ، لا يريد الشعب حكومةً متخلفةً تكنولوجيا ومعرفياً لا تستطيع أن توفر له لقمة العيش ، والتعليم ، والعلاج ، والمسكن ، والخدمات الأساسية الأخرى ، والأمن والأمان.

ومن بعد كل ذلك تأتي آمال وتطلعات أهل غزة الطيبين المغلوبين على أمرهم ، إنها آمال وتطلعات في غاية البساطة لا تتناسب ومتطلبات العصر الذي يعيشون فيه ، إنهم يتمنون أن يعيشوا حياتهم بطريقة سويةً طبيعية كغيرهم من البشر ، إنهم يقولون أنظروا إلى المجرمين في داخل السجون ، هل منع عنهم الطعام أو الماء أو الدواء ؟ أنظروا إلى الحيوانات البرية داخل محمياتها الطبيعية ، هل منعت عنها حرية الحركة أو نفقت بسبب نقص الرعاية والاهتمام ؟ أنظروا إلى الطيور داخل أقفاصها ، هل انقرضت بسبب الجوع أو العطش ؟ ... إنهم يتطلعون لأن ينالوا الحد الأدنى من الحياة الحرة الكريمة لأنهم بشر والحياة التي يعيشونها اليوم تأتي في مرتبة أدنى من حياة أهل السجون وساكني المحميات وساكني الأقفاص ، ولكن هيهات أن يتذكر أهل القرى المعاصرة ، الذين ليست لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون بها أو عقول يتدبرون بها قول المولى عزّ وجل : (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (الإسراء:٧٠).

أهل غزة يحلمون باليوم الذي ينسون فيه هماً كبيراً اسمه الوقود ، هذا الوقود الذي يوجد في باطن الأرض العربية أكثر من ٥٧,٥ % من الاحتياطي المكتشف منه ، ويمتن به العدو الصهيوني على أهل غزة بأن يطلقه لهم بالقطارة وهو يتسلى بالنظر إليهم وهم يلهثون للحصول عليه. يتمنى أهل غزة أن تدب الحياة في محطة توليد الكهرباء التي همدت ، ويتمنون سماع أصوات المولدات الصغيرة البديلة التي صمتت

، ويتمنون الحركة لطلمبات سحب المياه من الآبار الجوفية التي صدئت ، ويتمنون معاودة عمل طلمبات سحب مياه المجاري التي شلت ، ويتمنون تحرك السيارات التي توقفت ، ويتمنون عودة أجهزة التدفئة للبيوت بعد أن انعدمت ، وأهل غزة ينادون: (هل من مغيث يا أهل الله ؟).

أهل غزة أصبحوا يتمنون ويشتهون الكهرباء التي أصبحت ملازمة لحاجيات الإنسان الأساسية التي تشمل السكن والتعليم والصحة والماء والتكييف والتدفئة ، ويشتهونها لأنها أصبحت كالفاكهة الموسمية ويتمنونها لأنها أصبحت عصيةً بعيدة المنال ، محطة التوليد الكهربائي الوحيدة في القطاع إما أن يأتيها وقود السولار الطبيعي الذي يحرك مولداتها من مصر أو من العدو الصهيوني ، ومصر كبلتها اتفاقية كامب ديفيد وما جرته بعدها من اتفاقيات ومعونات أمريكية (لعنة الله على من كان السبب) ، وما عادت تشكل خطراً على وجود إسرائيل ، وما عادت قادرةً حتى على حماية نفسها ناهيك عن رد الأذى عن الفلسطينيين ، أما العدو الصهيوني فهو قد تمرس في صنع الأذى والدمار ، وعرف كيف يستغل الأزمات الإنسانية التي يفتعلها في تحقيق أكبر المكاسب ، ولكن هل لإخوتنا في غزة من سبيل للخروج من هذا المأزق ؟ لا نقول لهم كما يقول بعض المثبطين للهمم والمرجفين والمنهزمين ، بميزان القوة العسكرية أنتم الأضعف ، بميزان القوة المادية أنتم الأضعف ، بميزان الجغرافيا أنتم الأضعف لأنكم محاصرون ، وبقانون العرض والطلب أنتم الأضعف لأنكم أنتم المستهلكين ، ولديكم خيار واحد لا ثاني له إما أن تعترفوا بالكيان الصهيوني وتدخلوا في التسوية ، وتنسوا القدس ، وتنسوا الأرض المحتلة ، وتنسوا حق العودة للاجئين ، وتنسوا الأسرى المسجونين ، وتنسوا تاريخكم وهويتكم ودينكم وعرضكم ، أو تجروا شعبكم إلى

التهلكة والفناء ، وإنما نقرأ عليهم الآية القرآنية الكريمة: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران : ٢٠٠).

يحلم أهل غزة بأن يستفيقوا من نومهم ويجدوا أماكن بيع الغاز المنزلي وقد امتلأت بأنابيب الغاز بدلاً من أن يظلوا في حالة مطاردة دائمة لها ولا يعلمون السبل العلنية أو الخفية التي يمكن أن تؤدي بهم إلى الحصول عليها ، ولحاجتهم الماسة لأي مصدر بديل من مصادر الطاقة الحرارية يلجئون إلى حرق بعض المخلفات العضوية الحيوانية أو نزع الخشب من سقوف بيوتهم المتهرئة أو يجمعون ما تكسر من أعواد الشجر.

يأمل أهل غزة في أن يعي العالم أنهم كبشر يعانون من مصادرة حقوقهم في التنقل والسفر ، لا يستطيعون دخول بلادهم بلا تحري أو تدقيق أو تفتيش مذل ، وبلا تأشيرة و تنسيق مسبق و إجراءات أمنية معقدة. يريدون أن يكون لهم جواز سفر فلسطيني معترف به في كل المطارات والموانئ والمعابر الحدودية مثلما لغيرهم من شعوب العالم الأخرى.

أهل غزة يحلمون بأن تتوفر لهم مواد البناء من أسمنت وحصمة ، لعلهم يتمكنون من القيام بصيانة وإعادة بناء ولو جزء يسير من بيوتهم التي دمرها العدو الصهيوني وسواها بالأرض ، كثير من الناس في غزة أصبحوا مشردين أو أنصاف مشردين يعز عليهم أن يوفروا المأوى المناسب الذي يلم شملهم وعيالهم ويمنحهم الشعور بالأمان ولو أماناً زائفاً مؤقتا. نعم إن أهل غزة قد هداهم الله إلى حلول عبقرية ما خطرت من قبل على بال الناس ، إنهم يقتلعون الحجارة من أسفل ركام مباني مطار غزة الدولي الذي دمرته آلة حرب العدو الصهيوني ، إنهم

يحفرون أسفل الطرقات والشوارع ليستخرجوا الكنوز الدفينة من الحصمة ، إنهم يلتقطون حبات الحصمة الملقاة في كل مكان ويتاجرون فيها كسلعة نادرة وغالية الثمن ، ولكنهم يخاطبون ضمير العالم هل تسكتون على جريمة أن يعيش شعب من شعوب العالم كشعب من النمل يحفر بأظافره أخاديد الأرض للحصول على هذه الحصمة ؟.

يتطلع أهل غزة إلى اليوم الذي يرون فيه ميكانيكية السوق الحر وهي تعمل في اقتصاد القطاع بدون احتكار وبدون سيطرة وتحكم على المعابر والأنفاق. نعم تخضع الأسعار لقانون العرض والطلب ، ولكن أي عرض وأي طلب في قطاع غزة في ظل السوق الأسود و الحصار الشامل والكامل والحرب المعلنة ؟ كل شيء مدمر بما في ذلك السلع و قوانين العرض والطلب ، لا يوجد في قطاع غزة إلا الخوف والهلع.

يحلم أهل غزة بألا يروا مدنهم سابحةً فوق مياه المجاري ، وأن تكون شوارعهم مرصوفة تنمو في جزرها الأشجار الجميلة ولا تتعرض من وقت لآخر للقلع والتدمير لأجل توصيل خطوط الماء أو الكهرباء أو الهاتف لأنها لم توصل من قبل ، وأن يجوبوا شوارعهم وطرقاتهم بلا مطب أو حفرة أو حاجز إسمنتي.

وبإجرائنا لمقارنات بسيطة لآمال وتطلعات أهل غزة مع تلك التي لغيرهم من الشعوب المذكورة آنفاً توصلنا إلى نتيجة قاسية مفادها أن أهل غزة بسبب الحصار الصهيوني تدنى مستوى آمالهم وتطلعاتهم إلى درجة وخيمة ، ولم يعد يرقى حتى إلى المستويات الدنيا التي ترجوها الشعوب في القرن الواحد وعشرين ، ولن نكون مجافين للحقيقة إن قلنا أن أهل غزة أجبروا على مسمع ومرأى من العالم أن يعيشوا بتطلعات متواضعة لا تتعدى الحلم بتوفير أساسيات الحياة ، في عصر يتشدق أهله بالرفاهية ، والإنسانية ، والمعلوماتية ،والعلم ، والتكنولوجيا.

(١٩)

تطلعات وأشواق المسلمين

يعتبر ربع سكان العالم مسلمون ، وغالبيتهم في قارة آسيا ، ويبلغ تعدادهم حالياً حوالي ١,٥٧ مليار نسمة ، خمس عددهم يعيشون في بلدان لا يشكلون أغلبية فيها ، والعدد الأكبر من المسلمين من أصول غير عربية. ويبلغ عدد المسيحيين في العالم حوالي ٢,٢ مليار نسمة ، وعدد اليهود حوالي ١٣,٤مليون نسمة فقط ، ٥ مليون منهم يعيشون في فلسطين ، و٦,٥٤٤مليون يعيشون في أمريكا ، والآخرون يتوزع أغلبهم في فرنسا ، وكندا ، وبريطانيا ، وروسيا ، واستراليا ، وألمانيا ، والبرازيل ، والأرجنتين ، وبدرجة أقل في غيرها من دول العالم.

إن ما يجري في العالمين الإسلامي والعربي لأمر يؤسف له حقاً ، حروب طاحنة ، وثورات على أنظمة الحكم القائمة ، وتدخلات خارجية ، ومجاعات ، وكوارث طبيعية ، وتخلف اقتصادي وسياسي وتكنولوجي. كل هذا يحدث في ظل وجود منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية.

تأسست منظمة المؤتمر الإسلامي في الرباط في المملكة المغربية في الثاني عشر من رجب ١٣٨٩ه الموافق ١٩٦٩/٩/٢٥م على إثر الحريق الإجرامي الذي تعرض له المسجد الأقصى المبارك - أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين - في ١٩٦٩/٨/٢١م على يد عناصر صهيونية في مدينة القدس المحتلة. استطاع قادة العالم الإسلامي المجتمعون في الرباط تأكيد وحدتهم وجمع كلمتهم ، واستنفار القوة اللازمة لمواجهة هذا الاعتداء الصارخ. تضمن ميثاق المنظمة السعي

بكل الوسائل السياسية والعسكرية لتحرير القدس الشريف من الاحتلال الصهيوني وذلك من خلال الأهداف التالية:

- دعم التعاون بين الدول الأعضاء في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية وفي المجالات الحيوية الأخرى ، والتشاور بين الدول الأعضاء في المنظمات الدولية.

- العمل على محو التفرقة العنصرية ، والقضاء على الاستعمار بجميع أشكاله.

- اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلم والأمن الدوليين القائمين على العدل.

- تنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة وتحريرها ، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير أراضيه.

- دعم كفاح جميع الشعوب الإسلامية في سبيل المحافظة على كرامتها واستقلالها وحقوقها الوطنية.

- إيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء والدول الأخرى.

يبلغ عدد الدول الأعضاء في المنظمة سبعة وخمسون دولة إسلامية ، ودولتا السودان وفلسطين من الأعضاء المؤسسين.

تأسست جامعة الدول العربية حسب بروتوكول الإسكندرية في ١٩٤٥/٣/٢٢م ، وينص ميثاقها على الأهداف التالية:

- توثيق العلاقات بين الدول العربية.

- صيانة استقلالها.

- المحافظة على أمن المنطقة العربية ، وسلامتها في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والصحية.

ولتحقيق هذه الأهداف أنشئت العديد من المؤسسات ، وأبرمت عدة اتفاقات. ولتحقيق مبدأ الأمن والسلم العربي أوجبت المادتان الخامسة والسادسة للميثاق على الدول الأعضاء عدم اللجوء إلى القوة لحل المنازعات الناشئة بينها. وأقرت اتفاقية الدفاع العربي المشترك في عام ١٩٥٠م اتخاذ تدابير ووسائل بما في ذلك القوة المسلحة لرد أي عدوان يقع على دولة من الدول الأعضاء.

تضم الجامعة اثنتين وعشرين دولة ، انضمت دولة السودان إلى الجامعة عند نيلها الاستقلال في ١٩٥٦م ، وانضمت فلسطين إليها في ١٩٧٦م ، ويبلغ عدد سكان الدول الأعضاء في الجامعة مجتمعةً ٣٣٩,٥ مليون نسمة.

مع وجود هذين المنظمتين ، وغيرها من المنظمات الإقليمية الأخرى ، ما زالت المصائب تنهال على رؤوس المسلمين:

- بيت المقدس ما زال مغتصباً.

- فلسطين ما زالت ترزح تحت نير الاحتلال الصهيوني.

- ما زال الكيان الصهيوني يعيث في أرض المسلمين الفساد ، يضرب بطائراته العمق العراقي ، والعمق الأردني ، وأخيراً العمق السوداني ، وتمر كلها مرور الكرام.

- ما زالت الأقليات المسلمة تعاني من كل صنوف العذاب ، في حين أن الأقليات المسيحية في ديار المسلمين تأخذ أكثر من حقوقها ، وذلك لأسباب كثيرة منها ، كثافة الحركات التنصيرية ، تفشي الأمية بين المسلمين ، قلة المدارس والدعاة في المجتمعات المسلمة ، سوء

الأحوال المعيشية للمسلمين ، انتشار المنظمات المعادية للإسلام ، المشكلات الثقافية والاجتماعية والسياسية والتحدي الصهيوني الذي يصور المسلمين على أنهم يرمزون لكل ما هو سيء (خصوصاً في أمريكا وأوروبا). ومن الأمثلة التي يندى لها الجبين وتخلف في النفوس الحسرات ما تواجهه أقلية (الروهينقا) المسلمة في بورما ، يتعرض المسلمون في إقليم (أركان) المسلم في بورما إلى أشد مآسي الاضطهاد والقتل والتشريد التي ظل يكابدها أبناء ذلك الإقليم منذ ستين عاماً على يد الجماعة البوذية المتطرفة (الماغ) ، بدعم ومباركة من الأنظمة الدكتاتورية المتعاقبة في بورما. وتعتبر هذه الأقلية المسلمة في بورما بحسب الأمم المتحدة أكثر الأقليات في العالم اضطهاداً ومعاناة وتعرضاً للظلم الممنهج من أنظمة الحكم المتعاقبة في بورما ، و يبلغ عدد سكان بورما خمسين مليون نسمة منهم فقط ١٥% مسلمون.

هنا ، تقفز إلى الذهن مباشرة الآية القرآنية الكريمة (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) (البقرة:١٢٠).

هذه الآية القرآنية العقدية لا تزال معانيها تتجدد لأهل الإسلام في كل زمان وفي كل مكان ، وهي تتحدث عن حقيقة أهل الكتاب واليهود بشكل أخص. وقد أحسن العلامة محمد رشيد رضا ، رحمه الله ، الذي قال في تفسير هذه الآية : (آية للنبي ﷺ ، كاشفةً له عن حال أهل الملتين في عصره ، ولا تزال مضطردة في أمته من بعده ، وقد اغتر زعماء بعض الشعوب الإسلامية فحاولوا إرضاء بعض الدول بما دون إتباع ملتهم من الكفر ، فلم يرضوا عنهم ، ولو اتبعوا ملتهم لاشترطوا أن يتبعوهم في فهمها وصور العمل بها ، حتى لا يبقى لهم أدنى استقلال لا في دينهم ولا في أنفسهم).

وتقفز كذلك كلمات رسولنا الكريم في حديثه الذي رواه الصحابي الجليل ثوبان ، قال رسول الله ﷺ يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ، قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ، فقال قائل يا رسول الله وما الوهن ، قال حب الدنيا وكراهية الموت. والأكلة هم القوم الجياع ، والقصعة الغنيمة الباردة ، والغثاء هو ما ارتفع على وجه الماء وحمله السيل من الوسخ والجيف والأعواد.

يتطلع المسلمون في ظل وضعهم البائس هذا لأن يتغير حالهم ، وتعود لهم ولدينهم العزة والمجد ، وأن يتحقق لهم على المدى القريب بإذن الله الآتي:

- أن يروا وحدةً إسلاميةً شاملةً ، وكاملة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

- أن يروا وحدةً عربية فعالة.

- أن تكون قضية فلسطين هي القضية المحورية الأولى للمسلمين وللعرب ، وأن تنتهي معاناة الشعب الفلسطيني الذي يعيش تحت ذل الحصار والاضطهاد.

- أن توجه أموال المسلمين الفائضة المودعة في مصارف الدول الغربية نحو حل مشاكل المسلمين.

- أن يعود البترول إلى وضعه السابق كسلاح اقتصادي استراتيجي يستخدم وقت الحاجة لتحقيق أهداف ومصالح المسلمين.

- نبذ الفرقة والشتات بين المسلمين ، وعودة التلاحم والتضامن الإسلامي ، وبث روح الأخوة الإسلامية ، وأن يناصر المسلمون بعضهم بعضاً ، ليعود الدم المسلم غالياً عزيزاً وزكياً ، كما كان في الماضي.

- أن يتوقف قتل أهل السنة في الشام في سوريا وأن تنعم سوريا بالحرية والرخاء.

- أن تتوقف المذابح التي ترتكب ضد مسلمي ميانمار، وأن تتوقف إراقة الدماء التي تجري في العراق والصومال وأفغانستان، وغيرها من بلاد المسلمين.

- أن تهتم الدول العربية والإسلامية بالعلم ، والبحث العلمي ، والعلماء.

- أن تسعى الدول الإسلامية والعربية إلى ردم الهوة التكنولوجية والمعرفية بينها وبين الدول المتقدمة ، وعلى وجه الخصوص دولة العدو الصهيوني.

- أن تتوقف الهستيريا الإعلامية الغربية التي يقودها اليهود ضد الإسلام والمسلمين، وتخويف العالم منهم، وربطهم بالإرهاب دون سائر الملل والنحل.

- أن تتحرر الدول الإسلامية من التأثيرات الخارجية للدول الكبرى ، وأن تتحقق لها الاستقلالية الكاملة في كافة شئونها وقراراتها.

(٢٠)

العودة من غزة

في صبيحة يوم السبت الموافق ٢٠١٢/٢/٢٨م جلسنا في نفس المكان الذي داومنا على الجلوس فيه لتناول طعام الإفطار داخل صالة الطعام الفخمة بفندق الكومودور ، إنه المكان الذي ظللنا نمتع أنظارنا منه بالتغزل في جمال بحر غزة مع نسمات كل صباح ونحن نتجاذب في غاية السعادة والانشراح أطراف الحديث حول المفيد وغير المفيد. إلا في ذلك الصباح كان الوجوم مخيماً على كل شيء ، حتى أمواج البحر سكنت ، وطائر النورس الأبيض غاب ، والقوارب ما عادت تتحرك فوق الماء. بوادر لوعة وحرقة الفراق بدأت تظهر علينا ، ساعات قليلة ونفارق غزة ، نفارق هذه الأرض التي ما كنا نطمح ولا في أحلامنا بأنه سيأتي يوم ونراها بأعيننا ، نفارق هذه الأرض التي سطر أهلها بأحرف من نور على صفحات التاريخ أروع قصص الملاحم والبطولات ، نفارق هذه الأرض التي ارتوت بدماء الشهداء الطاهرة الزكية ، نفارق هذه الأرض التي ما انحنت يوماً لجبروت فرعون أو إمبراطور أو طاغية.

جاءت الحافلات وليتها لم تأت لأن مجيئها يعني فيما يعني لنا أنه سبق السيف العزل ، وأن ما نخشى وقوعه قد أصبح حقيقةً ماثلة ، وأن لحظات قليلات تفصل بيننا وبين أرض أحببناها وعشقناها وصرنا جزءً لا يتجزأ منها ، مشينا نحو الحافلات كما يمشي مشيعي الجنائز ، جلسنا على المقاعد كما يجلس أصحاب الأمراض المزمنة ، والمسنون الذين ما عادت أجسامهم تتحمل الجلوس على شيء ، نظرنا من النوافذ وما كنا نرى هذه المرة سوى الكثبان الرملية بشجيراتها الشوكية التي

تنمو على أطرافها ، وجبال تنك الحديد التي أكلها الصدأ وأكسبها لون الموت ، وقوارب الصيد المحطمة المقلوبة فوق رمال الشاطئ ، والركام وحطام البنايات المهدمة ، وبعض الناس هنا وهناك يركبون العربات التي تجرها الحمير.

قبل أن نصل إلى معبر رفح من جهة غزة أشار مرافقونا من أهلها إلى سهل منبسط مليء بالركام وقالوا لنا: (صدقوا أو لا تصدقوا أن هذا المكان ليس مكب للنفايات ، وليس قطعةً من شيرنوفل أو هيروشيما ، ولكنه كان في يوم ما مطار غزة الدولي قبل أن تدكه طائرات العدو الإسرائيلي وتسويه بالأرض

الإسرائيلي وتسويه بالأرض.) ، إنه حلقة مكملة لحلقات حصارهم لغزة ، يريدون لحصارهم أن يصبح شاملاً وكاملاً ومؤذياً لأقصى الحدود ، أن يكون برياً ، وجوياً ، وبحرياً ، وعلمياً ، وسياسياً ، واقتصادياً ، وإعلامياً ، ولكنهم نسوا رب الحصار الذي علم النحل كيف يسلك سبل ربه ذللا ، و رزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطانا ، وعلم النمل كيف يدخل بيوته لا يحطمنه سليمان وجنوده ، وعلم الإنسان ما لم يعلم.

ألقينا نظرة طويلة عميقة على آخر نباتات التين ألشوكي والصبار ، وعلى آخر حبيبات الكثبان الرملية قبل أن ندخل صالة الركاب العابرين إلى مصر ، معظم المقاعد كانت خاوية إلا من عدد قليل من الناس جلسوا على بضعة مقاعد متقاربة ، لم يطل بنا المقام طويلاً وإذ بأولئك النفر الكرام من جامعة الأقصى والجامعة الإسلامية وجامعة فلسطين يصطفون بجباه عالية ، وأقدام ثابتة قوية ، في نفس المكان الذي استقبلونا فيه عند دخولنا إلى غزة ليودعونا ونحن نغادرها. لحظة الوداع كانت قاسيةً على المودعين والمودعين ، بعضهم تحجرت الدموع في مآقيهم ، والبعض اغرورقت أعينهم بالدمع ، والبعض الآخر لم يستطع حبس دموعه ، لم تكن هذه الدموع دموع خور وضعف وإنما دموع الرجال الذين يعرفون قدر الرجال ، دموع الرجال الذين يؤمنون حقاً بأن هناك معركة تاريخية فاصلة سوف يأتي يوم وتدور فيه رحاها بين قوى الخير والشر في أرض فلسطين ، ولذلك ما كانت هذه الدموع النقية إلا تعبيراً وانعكاساً صادقاً لما يدور في داخل تلكم النفوس الكريمة ، التي كانت في تلك اللحظة الصافية من كدر الدنيا وزخرفها تتمنى وتدعو الله أن تكون في دار الفناء في معية المناضلين الأطهار الشرفاء الأتقياء ، وبرفقتهم كذلك في دار الخلود ، في جنة عرضها السموات والأرض ، على سرر متقابلين لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما.

ثم دخلنا بعد ذلك صالة ركاب المعبر من جهة مصر ، وللمرة الثانية لم نمر عبره بسلام ، أوقفونا هذه المرة بحجة أن أحدنا وهو عالم متخصص في علم الفيزياء الفضائية يحمل الجنسية المزدوجة المصرية والأمريكية ، وهذا في حد ذاته يكفي في نظرهم لأن تبحث حالته ، ويدقق فيها ، وتمحص وتجرى حولها الاتصالات المحلية والداخلية والخارجية ، وتقوم لأجلها الدنيا ولا تقعد ، ورغماً عن كل الذي كان يحدث كنا نصف سعداء ، لأن الوقت الذي قضيناه في الانتظار هذه المرة لم يتجاوز تقريباً نصف المدة التي قضيناها في المرة السابقة.

لم نصدق أن الأوتوبيس توسط بنا طريق (رفح - الإسماعيلية – القاهرة) السريع ، وانطلق بنا غرباً محاذياً البحر غير مبال برياح صحراء شبه جزيرة سيناء المحملة بالأتربة والغبار ، وغير مبال بالسيارات الصغيرة والناقلات الكبيرة التي أدمن سائق أوتوبيسنا تخطيها. انفتح باب العفش أسفل أوتوبيسنا الميمون وبرز كجناح طائرة ، وبعد أن قمنا بتنبيه السائق الهمام بأن كارثةً على وشك أن تحل بنا توقف على مضض وقام بإغلاق الباب ثم انطلق مرةً أخرى لا يلوي على شيء ، وأصر الباب على أن ينفتح مرةً أخرى ، وكررنا تنبيهنا للسائق لعدة مرات ولكنه أبى وتجاهل وسد أذنه واحدة بطينة والثانية بعجينة ، ولم يبق لنا إلا أن نرفع أكفنا إلى السماء وندعو الله أن يستر علينا ويكفينا شر مصائب الدنيا ما ظهر منها وما بطن. واستجاب الله لدعائنا بأن قطع بدو سيناء الطريق وأغلقوه بالضبة والمفتاح وبالحجارة وبكاوتش السيارات ، نعم أخرونا لأكثر من ساعة زمان كانت علينا نعمة وبركة ، حيث تمكن فيها السائق من إصلاح الباب العنيد ، وبعد أن أخبرهم زملاؤنا المصريون من أعضاء الوفد بأن أوتوبيسنا يحمل علماء مصريين وغير مصريين كانوا يحضرون مؤتمراً في غزة ، رقوا لحالنا وسمحوا لنا بأن يركب أحدهم معنا ويقودنا عبر طريق جانبي متخطياً بنا ذلك المكان. وحمدنا الله وشكرناه في سرنا وجهرنا أن نجانا من مصيبة محققة كانت ستحل بأتوبيسنا مع إصرار سائقه على الطيران به بجناح واحد ، وخرج كلام جميل من أفواه الركاب : (رب ضارة نافعة) ، (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم).

وصلنا مطار القاهرة بعيد مغرب الشمس ، وجدنا مدينة المعز لدين الله الفاطمي تسبح في بهرجة من الأضواء وسياراتها تجوب شوارعها

في سرعة قاتلة للدرجة التي جعلتنا نتساءل أليل القاهرة لها معاشا ونهارها لباسا ؟ ، وبعد جهد جهيد ومهارة عالية أظهرها سائق أوتوبيسنا وقفنا على شارع جانبي قريب من صالة الركاب الدولية بمطار القاهرة وقمنا في مشهد مهيب مؤثر بتوديع كوكبةً من العلماء السودانيين والعراقيين والأردنيين الذين لم يبق على موعد سفرهم إلى أوطانهم سوى سويعات قليلة.

وصلنا إلى محطتنا النهائية فندق رويال مارشال الذي انطلقت منه رحلتنا إلى غزة ، من هناك ذهب العلماء المصريون إلى ديارهم ، ودخل من تبقى من العلماء من غير المصريين إلى غرفهم على أمل أن ينالوا قسطاً من الراحة قبل أن يستأنفوا غداً رحلات العودة إلى أوطانهم.

ذهب العلماء كل إلى جامعته وهم يعلمون أنهم سيتواصلون مع بعضهم البعض من خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) ، تشتتوا وهم يعلمون أن توصيات مؤتمر الدراسات العليا والبحث العلمي الذي أقاموه في غزة ستمهد لهم الطريق لأن يلتقوا لمرات عديدة في المستقبل ، وتشتتوا لأنهم يعلمون أن رابطة علماء لأجل غزة سوف تكون الوعاء الجامع لهم.

(٢٠)

نتائج حرب غزة

غزة أصبحت هي لب القضية الفلسطينية ، من يتحدث عن القضية الفلسطينية لا يمكن له أن يتجاوز غزة على الإطلاق ، ومن يتحدث عن غزة لا يمكن له أن يتجاوز حماس ، ومن يتحدث عن حماس فإنما يتحدث عن المقاومة والنضال واستخدام القوة لاسترداد ما أخذ بالقوة. موقع غزة الجغرافي الاستراتيجي عسكرياً وتجارياً جر عليها منذ الأزل أطماع الطامعين ، واستمر الحال هكذا إلى أن أتى الصهاينة في العصر الحديث ، وبإيعاز وانحياز وتغطية وسند من الصليبية الجديدة تفننوا في سلب الحقوق ، وقتل النفس البشرية التي حرم الله إلا بالحق ، وحرق الأرض بمن فيها. عشنا وسط أهل غزة أياماً ، شهدنا فيها كيف خرج أهل غزة من هذه الحرب وهم مرفوعي الرأس رغماً عن كل التضحيات الفادحة التي قدموها ، وشهدنا فيها كيف كان ردهم العملي على الأصوات التي تقول أن المقاومة لا فائدة منها ، وعاقبتها الوحيدة الموت ولا شيء غيره.

النقاط التي سنوردها في الأسطر التالية هي عبارة عن النتائج التي استخلصها المحللون السياسيون من آثار الحرب التي شنها العدو الإسرائيلي على غزة ، ومن ذلك الصمود الأسطوري الذي جعل العالم كله يقف حائراً وغير مصدق لتلك المشاهد التلفزيونية التي بثتها القنوات الفضائية والتي أظهرت قوة وصمود الضحية وخور وضعف الجلاد.

١- عجز الدول العربية عن محاربة العدو الإسرائيلي عجز وهمي.

٢- وجود المقاومة يعني البعد الشعبي للحرب بين العرب و العدو الإسرائيلي ، مما يجعله يتذكر دوماً إنه غير مرحب به وغير مستوعب في المنطقة.

٣- إن محاولة كسر إرادة ومقاومة وصمود الشعب الفلسطيني من خلال هذه الحرب باءت بالفشل ، بل وكشفت حقائق جديدة على كل المستويات الفلسطينية والعربية والدولية.

٤- التأييد الشعبي لفكرة التسوية بدأ يتراجع ، وبالمقابل بدأ يزداد التأييد لنهج المقاومة بكافة أشكالها بعد أكثر من خمسة عشر عاماً من المفاوضات العبثية.

٥- لم يعد العدو الإسرائيلي قادراً على احتلال غزة والخروج منها متى ما شاء.

٦- أثبتت هذه الحرب أن العدو الإسرائيلي يتجنب الدخول في حرب برية تكلفه الكثير من القتلى.

٧- وصمت الحرب على غزة بأنها أجبن وأنزل وأوسخ حرب في التاريخ ، لأنها قامت على محاصرة الناس حصاراً كاملاً شاملاً ، ثم إبادتهم بدون أن تترك لهم أي فرصة للنجاة أو معالجة جرحاهم.

٨- لم توقف الحرب إطلاق الصواريخ على دولة الكيان الصهيوني وإنما زاد مداها وزادت رقعة تهديدها.

٩- لم تنهي الحرب شعبية حماس ، وإنما زادتها شعبية وأعطتها الشرعية.

١٠- لم تنتهي الحرب باحتلال غزة ، ولم تستطع قوات العدو الإسرائيلي أن تتوغل متراً واحداً داخل أرض غزة.

١١- يعتبر الانقسام السياسي نقطة سوداء في جبين التاريخ العربي والفلسطيني بتصنيف الدول العربية ما بين الاعتدال والممانعة ، وتصنيف القوى الفلسطينية ما بين الاعتدال والإرهاب ، مما أعطى العدو الإسرائيلي المبرر للاستفراد بالقطاع في ظل التبعية العالمية لأمريكا والغرب.

١٢- خاض أهل غزة هذه الحرب لوحدهم ، وسجلوا فيها صموداً أسطورياً ضد أعتى آلة حربية ورابع أقوى جيش في العالم ، وانتصروا بحساب الربح والخسارة لأنهم لم يعطوا العدو الفرصة لكي يحقق أهدافه السياسية والعسكرية ، وأجبروه على أن ينسحب من أرضهم دون اتفاق سياسي يحفظ له ماء وجهه.

١٣- إن سياسة القتل واستهداف المدنيين كوسيلة ضغط للابتزاز السياسي لم تعد الآن مجدية في ظل التغيرات الوطنية ، بعد أن أدركت المقاومة سر المعادلة وأهداف العدو الإسرائيلي ، فلم تعد سياسة القتل والمجازر المتعمدة بحق المدنيين تجبرهم على الهجرة ، ولم تعد الآلة العسكرية قادرةً على إحداث حالة من الرعب والصدمة ، بل زادتهم قوةً وإرادة على الصمود والمقاومة.

١٤- توقفت الحرب على غزة حينما قررت المقاومة ، وليس عندما قرر العدو الإسرائيلي.

١٥- لم تنجح الحرب على غزة في قتل قادة حماس.

١٦- بدلاً من أن يكسب العدو الإسرائيلي من جراء حربه على غزة التعاطف العالمي فقد انقلب الرأي العام العالمي ضده ، ومن كانوا معه صاروا ضده.

١٧- بدلاً من أن تعيد الحرب على غزة الثقة إلى جنود العدو الإسرائيلي زادتهم جبناً ، في حين زادت الثقة بالنفس لدى مقاتل المقاومة.

١٨- تراجع المشروع الصهيوني وانكفأ إلى الخلف ، فبعد أن كان يحقق الانتصارات المتتالية ، أصبح يحقق الهزائم العسكرية والسياسية ، ولذلك حصر نفسه داخل أسوار إسمنتية بناها لتكون له حصناً حصيناً من ضربات المقاومة ، متناسياً مشروعه الذي يمتد من النيل إلى الفرات بعد فشل آلته العسكرية في فرض سيطرتها على الأرض سواء في لبنان أو قطاع غزة.

١٩- إن هذه الحرب كلفت العدو الصهيوني مبلغ عشرة ونصف تريليون دولار ، وهي تعادل قيمة ما تم صرفه على الحملات الإعلامية على مدى أربعين عاماً لتجميل صورة اليهود في العالم ، وفي خلال الحرب على غزة التي استمرت لمدة اثنتين وعشرين يوماً فقط دمر جيش العدو الإسرائيلي كل ما تم تحقيقه إعلاميا من قبل.

٢٠- إن الحرب على غزة أثبتت أن المؤسسات الدولية سقطت أخلاقياً وايدولوجياً وسياسياً ، وعلى رأسها مجلس الأمن الدولي ، ولم تعد هذه المؤسسات تمثل الإرادة الدولية ، والقيم الإنسانية ، بسبب الهيمنة والضغوط السياسية الأمريكية والغربية.

٢١- إن هذه الحرب مكنت حماس من أن تحصل على الشرعية الدولية كحاكمة في قطاع غزة.

٢٢- الحرب على غزة جعلت الجماهير العربية تتجاوز الأنظمة العربية الرسمية بقياداتها السياسية والحزبية والمدنية ، التي فقدت القدرة على القيادة ، والربيع العربي خير دليل على ذلك.

٢٣- بروز التيارات الدينية كقوى سياسية فاعلة في الساحة العربية بقيادتها للتحركات الشعبية الناهضة والمنددة بالعدوان على غزة ، وأصبح هذا التيار هو القوة السياسية الأولى المؤهلة لقيادة الشعوب العربية في المستقبل.

خاتمة

- نعم ذهبنا إلى غزة.
- لم نذهب إليها للفرجة ، أو للسياحة ، أو للترويح عن النفس.
- ذهبنا إليها وفي خيالنا عنها صورة كانت مهزوزة ومشوهة ، كونتها وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.
- ذهبنا إليها بعيون ترى ، وبآذان تسمع ، وبعقول تتدبر.
- وعدنا منها وقد رأينا شعباً هبط لكوكبنا من كوكب آخر ، لغته عذراء ليس فيها شرخ اسمه هزيمة أو استسلام.
- وعدنا منها ونحن أكثر يقيناً بأن للكون رب عظيم.
- وأن ما يفعله أهل غزة لا يمكن قياسه بالمقاييس البشرية الواهية المحدودة ، وإنما بالمقاييس الإلهية القسط المطلقة.
- وعدنا منها ، وكل البشائر ، وقرائن الأحوال تقول لنا ، أنه مهما استطال نفق الظلم في غزة ، فإن مع نهايته ، سوف ينبلج عاجلاً أم آجلاً فلق الحق المبين.